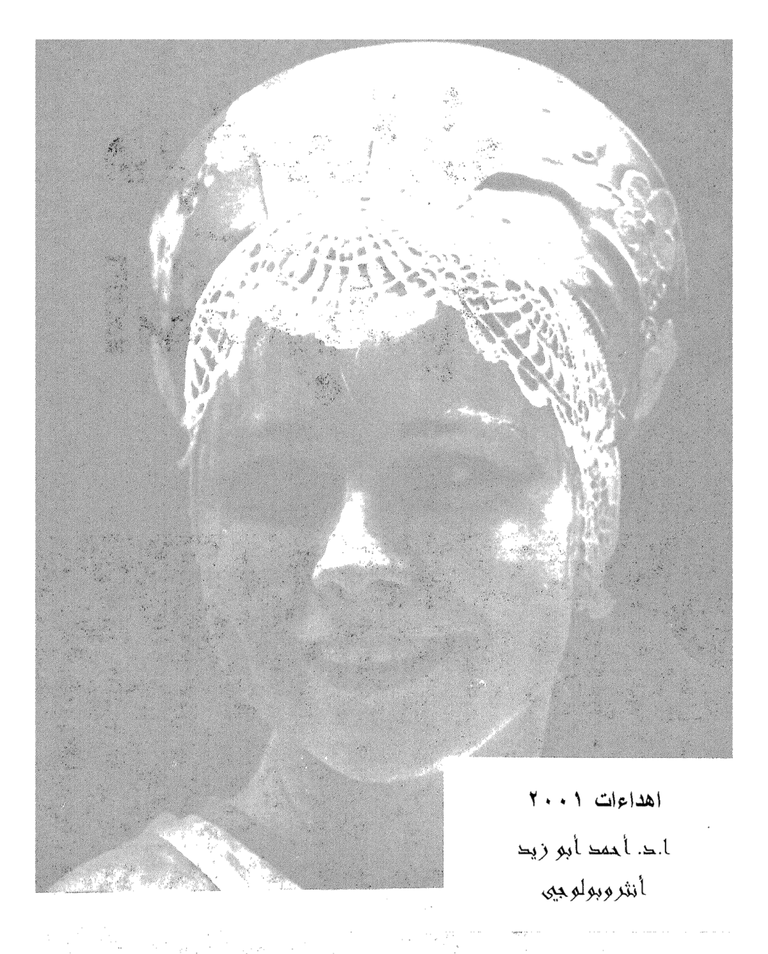


- الهند.. الحاضر والمستقبل
- الطبقة العاملة فى قبرص
- النظرية والتطبيق
- جزء خاص عن:

الفكر الاجتماعى عند على مبارك



أغسطس ١٩٧٨



اهداءات ٢٠٠١

ا.د. أحمد أبو زيد

أنثروبولوجي

● الراقصة ناتاليا دمونيكو ●
مهرجان الشباب العالمي .. يوليو ١٩٧٨



دراسات اشتراكية

مجلة شهرية ● تصدر عن دار الهلال ● السنة السابعة "٨" ● أغسطس ١٩٧٨

الهند

الحاضر والمستقبل

بقلم: راجيسوارا راو

التقى المؤتمر الحادى عشر لحزبنا ((بهاتيندا ، ٣١ مارس ــ ٤ أبريل ١٩٧٨)) فى غمرة تغير هائل فى المسرح السياسى القومى بكامله ، وسبقته فى العام الماضى انتكاسة انتخابية خطيرة للحزب الذى تولدت بداخله مناقشات جادة على كافة المستويات . وتقدم أعداؤنا الطبقيون ، الذين لم يدركوا اطلاقا غرض مناقشتنا ، تنبؤات فجة عن انقسامات وشيكة فى الحزب الشيوعى الهندى .

ووضع المؤتمر حدا لكل تخمينات معارضينا بالتوصل الى الاجماع حول معظم المسائل المطروحة للنقاش . وعززت مداولاته بدرجة أكبر من وحدة الحزب .

وكان المؤتمر كذلك أكبر مؤتمر يعقد فى تاريخ حزبنا . فقد حضره ١٥٥٤ وفيقا ، منهم ١١٦٦ مندوبا و ١٩٨ مندوب احتيـاطى يمثلون ٥٤٦٫٧٣٢ عضوا حزبيا . وقد ادرك أنصار حزبنا والمتعاطفون معه كذلك المغزى الهام للمؤتمر ، عندما توافد عشرات الآلاف للمشاركة فى الاجتماع الجماهيرى الذى عقد فى اليوم الختامى للمؤتمر .

ان مشاركة ٣٣ مندوبا من الاحزاب الشقيقة للبلدان الاشتراكية وغير الاشتراكية والرسائل العديدة التى تلقيناها ممن لم يستطيعوا ارسال مندوبيهم ، قد أثارت فى رفاقنا شعورا بالانتماء الى الحركة الدولية العظيمة للشيوعيين ، القوة القائدة فى اعادة تشكيل العالم وفق خطوط ثورية . كما أكدت كذلك الاممية التى يعتز بها اعضاء حزبنا كأحد صفاتهم التى يعتزون بها .

وحلل المؤتمر الوضع السياسى الحالى والافق المشرق لتقدم الحركة الثورية فى بلادنا . وكشف كذلك الاخطاء التى أدت الى انتكاسة حزبنا فى الماضى القريب .

ان طريق التطور الرأسمالى الذى انتهجته حكومة المؤتمر القومى الهندى منذ الاستقلال عام ١٩٤٧ ، رغم نمو اقتصاد مستقل وقطاع عام بمساعدة الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، قد دخل فى ازمة عميقة مع عام ١٩٤٧ ، وصلت الى قمتها بقبول املاء البنك الدولى للتعمير والتنمية(١) واعلان حالة الطوارىء فى يونيو ١٩٧٥ .

واستبدال حكومة انديرا غاندى بحكومة حزب جاناتا فى دلهى وفى عدد من الولايات لم يخفف من هذه الازمة . وعلى العكس ، فقد زادت حدة الازمة لان حكومة حزب جاناتا تنقض بشكل منتظم السياسة المقبولة قوميا والتى تقوم على تخطيط التنمية الاقتصادية ، وتوسيع القطاع العام ، وتطوير الصناعات الحديثة ، وتحسين التكنولوجيا الهندية . وهى تعطى الاولوية للصناعة الصغيرة والحرف والزراعة . ويسمح لتجار الجملة والاحتكاريين بنهب الفلاحين والمستهلكين على السواء باسم « اقتصاد السوق الحر » . وجمد تنفيذ قوانين الحد الاعلى لملكية الارض ، وبالاضافة الى ذلك ، أصبحت هجمات أغنياء الفلاحين على الهاريجانز وغيرهم من فقراء الريف شعار الساعة . ووصل اطلاق الرصاص بشكل وحشى على

---

(١) فى صيف ١٩٧٤ خضعت حكومة انديرا غاندى لطلب البنك الدولى للتعمير والتنمية بان تضع الهند اقتصادها على اسس «صحية» ـ المحرر

العمال أبعادا جديدة لغرض وقف النضال ، واغلاق المصانع وتجميد الاجور وهو ما مارسه أصحاب الاعمال بشكل متزايد .

وسياسة حزب جاناتا اذا ما اخذت فى مجموعها تمثــــل احتيــــاجات ومطامح البرجوازية الكبيرة الهندية التى تشعر الآن بالثقة فى مواصـــلة تكديس الارباح بالتعاون حتى كشريك أصغر مع الاحتكاريين الاجـــانب وتسخير قطاع الدولة لاحتياجات توسعها وتقدمها الخاص . وفى القطاع الزراعى ، تخدم سياسة حزب جاناتا مصالح كبار الملاك واغنياء الفــلاحين وفى مجال التجارة تسعى حكومة حزب جاناتا لخدمة البرجوازية التجـارية الكبيرة باخلاص ، من تجار الجملة ، واصحاب المخازن الكبيرة ، الخ . وتعكس سياسة حزب جاناتا المناورات التكتيكية الجـــــديدة للبرجوازية الكبيرة الهندية وكبار الملاك ، الذين يحاولون حل أزمة الطريق الرأسمالى بالقـاء عبئها على الجماهير وقمع المقاومة الشعبية باللجوء المتزايد الى العنف والتسلط .

وفى ظروف الازمة الحادة للنظام الرأسمالى هذه ، احتاجت حـكومة حزب جاناتا الى عام واحد فقط لكى تصل الى نفس المأزق الـــذى وصلت اليه حكومة المؤتمر بعد ثلاثين عاما . ونفس حظر التسلط الذى قســم البلاد فى الايام الاخيرة من نظام أنديرا غاندى يخيم اليوم لدرجة كبيرة على الافق السياسى الهندى . ولذلك يشير القرار السياسى لمؤتمر الحـــزب فى بهاتيندا بشكل صريح الى : « أن أزمة طريق التطور الرأسمالى والسـياسة الطبقية البرجوازية قد تعمقت لدرجة لا يستطيع معها أى حزب برجوازى أن يخلص البلاد من الازمة أو ينقذ شعبنا من التسلط وتحطيم الحقــوق الديموقراطية » .

ومن الممكن ادراك خطورة الازمة الاقتصادية والسـياسية فى بلادنا على وجه سليم فحسب عندما ترى على خلفية الازمة المتصلة للاقتصـــــاد الرأسمالى العالمى والتكتيكات الجديدة للامبريالية التى تهـــــدف الى فرض سيطرتها الاستعمارية الجديدة على البلدان النامية .

ففى الوقت الذى لا يتخلى الامبرياليون عن تكتيكاتهم القـــديمة تمـاما ، يتبنون تكتيكات جديدة لنقل عبء الازمة على أكتاف البلدان النامية . انهم وقد فشلوا فى وقف النمو الصناعى فى هذه البلدان ، يحاولون تشجيع رأسمالية « تابعة » لهم ، أو مايسمى باقتصادات ذو « توجه تصديرى » و « توجه زراعى » . ويستخدم الامبرياليون كذلك دولا معينة مناسبة فى

مختلف المناطق كعملاء يعتد بهم لتنفيذ تكتيكاتهم الجديدة . وهم بذلك يحاولون تقويض التعاون بين بلدان الاسرة الاشتراكية وبلدان « العالم الثالث » . ويتعاون قادة الصين الماويين الحاليين تعاونا تاما مع الامبرياليين في هذا المضمار .

ورغم العقبات التي وضعها الامبرياليون في طريق بلادنا ، فقد حققت تقدما هاما نحو الاعتماد الاقتصادي على النفس بمساعدة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى . والهند اليوم في وضع يسمح لها بمساعدة البلدان النامية الاخرى في مجال التنمية الصناعية . ان علماءنا ومهندسينا وتكنيكيينا هم مفخرة بلادنا . ونتيجة لكل ذلك ، زادت هيبة بلادنا بين البلدان النامية .

ولذلك يلجأ الامبرياليون الى حيلة أخرى لاحتواء بلادنا في خطتهم العالمية . وهم يغرون احتكاريينا بالدخول في مغامرات مشتركة مع الاحتكارات متعددة الجنسية كشريك أصغر لاستغلال بلدان « العالم الثالث » . والاحتكاريون الهنود ، وقد اغتنوا خلال الثلاثين عاما الماضية بنهب شعب بلادنا ، يبدون الآن متحمسين لافق نهب شعوب « العالم الثالث » بالتعاون مع الاحتكارات متعددة الجنسية . وفي ذلك يكمن خطر جاد على مستقبل بلادنا .

والقسم المسيطر على حكومة حزب جاناتا يميل الى ذلك . وقد تجبر الحكومة على الوقوع في هذا الفخ اذا لم تتيقظ القوى اليسارية والديموقراطية . وهناك دلائل بالفعل تبين أن الحكومة مشغولة بتصحيح ما يسمى « باتجاه » سياستنا الخارجية في الوقت الذى تحتفظ فيه باطار عدم الانحياز . وهذا يعني أن المحتوى المعادي للامبريالية لسياستنا الخارجية يخفف منه وتبذل المحاولات لاضعاف صلاتنا بالبلدان الاشتراكية (1) .

وأزمة السلطة السياسية تجلب عدم الاستقرار السياسي في بلادنا . وحزب جاناتا الحاكم تمزقه النزاعات بين الجماعات ويغرق في صراع حاد

---

(1) وبهذا الهدف في الاعتبار ، قام زعماء البلدان الرأسمالية الغربية أخيرا بزيارة بلادنا بدءا بالرئيس جيمي كارتر ورئيس وزراء بريطانيا جيمس كالاهان ، ومن بينهم أورفيل فريمان مندوب البنك الدولي وغيرهم الزعماء . وتتزايد الضغوط القوية على بلادنا في هذا الاتجاه يوما بعد يوم .

ويدور الحديث حول انقسام فى حزب جاناتا . وما يحافظ على تماسكهم فى الوقت الحاضر هو عودة ظهور أنديرا غاندى على المسرح السياسى بعد الانتصارات الباهرة لحزبها ، حزب المؤتمر القومى لانديرا ، فىالانتخابات البرلمانية فى الولايات الجنوبية فى فبراير ١٩٧٨ .

وتجمع حزب جاناتا يتكون من قوى غير منسجمة مع بعضها . فهناك ، فى جانب ، قوى علمانية ومعادية للامبريالية ، وفى الجانب الآخر ، قوى الطائفية والموالاة للامبريالية (١) وهناك سمة اخرى تزيد الامور تعقيدا وهى الاندفاع المخطط والمثابر لائتلاف راشتريا سوامسيواك سانج (٢) ، الذى يضم جانا سانج وشابران سنج لتوسيع سلطتهما ، على حساب الاقسام الاخرى المكونة لحزب جاناتا ، داخل هذا الحزب والحكومة المركزية وحكومات الولايات والجهاز الادارى . وحزب جاناتا يفقد بسرعة ثقة الناس به ، وحتى بعض أنصاره يتشككون فى قدرته على تحقيق مطالبهم .

ان مذابح العمال فى بيلاديلا وبانتناجار ، والهاريجانز فى بيسرامبور فى بيهار ، وأعمال الشعب الطائفية فى بيهار ، والهجوم المخطط ضد الاقلية المسلمة فى سامبهال فى أوتاربراديش ، والصدام بين طائفتين النيرانكارى والنيهانج فى أمريتسار ، وفظائع البوليس الاخيرة فى أندرا براديش ، والقمع الوحشى لنضال الفلاحين فى تاميلنادا ، واضطرابات الطلاب واغلاق عدد من الجامعات فى الولايات الشمالية ، كل تلك الاحداث التى جرت فى خلال شهر واحد « مارس ـ ابريل ١٩٧٨ » هزت البلاد . ودفعت رئيس الجمهورية لان يعرب عن قلقه فى اجتماع عام ، حيث قال : « أنا لا أعرف الى أين نسير . فأنا شخصيا لا أعرف رغم أنى رئيس الجمهورية وأنى لاعرب عن أسفى ازاء حالة البلاد الصحية » .

وحزب المؤتمر منقسم على نفسه . فحزب المؤتمر الذى يرأسه سواران سنج يعانى من اضطرابات بعد النكسات التى تعرض لها فى الانتخابات البرلمانية فى فبراير فى بعض الولايات . والاقسام اليسارية فى هذا الحزب تفكر فى بديل قومى يسارى وديموقراطى . واستطاعت انديرا غاندى ، نتيجة لنجاحات حزبها فى الانتخابات البرلمانية فى الولايات أن

---

(١) العلمانية تقر بالطبيعة العلمانيا للدولة .والطائفية فى ظروف الهند تهدف الى اثارة العداوة بين الطوائف الدينية ، وبخاصة بين الهندوس والمسلمين ـ المحرر

(٢) راشتريا سوايامسيواك سانج ، تنظيم رجعى شبه عسكرى متطرف للجناح اليمينى لحزب جاناتا . وبهاراتيالوك دال حزب يمينى آخر انضم الى حزب جاناتا .

تعود من جديد الى المسرح السياسى للبلاد . واذا كانت تجاوزات حالة الطوارىء قد أتت بحزب جاناتا الى السلطة ، فان سوء حكمة خـــلال عام واحد قد سهلت من عودة أنديرا الى المسرح فى غياب بديل يســـارى وديموقراطى .

ورغم أن مؤتمر أنديرا له قاعدة هامة بين فقراء الريف وأقسام من فقراء المدن ، يجب على المرء أن يدرك أنه كذلك حزب برجوازى . أنه عاجز عن تنفيذ أى برنامج اجتماعى اقتصادى جذرى بســـبب التركيب الطبقى لقيادته ، التى تضم كبار ملاك ، وبخاصة على مستوى الولايات . وبالتأكيد فانه لن يصنع المعجزات . وأكبر نقطة ضعف فى هذا الحزب هى أنه يستند على شعبية وتقديس فرد واحد . ان المؤتمر القديم سيىء الســـمعة الذى أقامته قد عاد من جديد . وهناك بعض التذمر بالفعل فى هــذا الحزب . ولن يكون متحررا من صراع المجموعات مثل الاحزاب البرجوازية الاخرى فى الوضع الحالى الذى تمسك الازمة بخناقه فى البلاد . ويمكن تلمس مدى حساسية هذا الحزب من الطريقة التى عالجت بها حــكومة مؤتمر أنديرا فى أندرا براديش مسألة فظائع البوليس .

والوضع السياسى فى بلادنا فى حالة تغير متواصل . ومع ذلك فمن السابق لاوانه أن نقول فى أى اتجاه ستتحرك الامور وأى نوع من اعادة توزيع القوى سيحدث . لكن يمكننا ان نقول بارتياح أنه ليس فى مقدور اى حزب برجوازى أن يخلص البلاد من الازمة العميقة التى تعـانى منها اليوم .

وكبار رجال الاعمال والامبرياليون يستفيدون من الوضع لمواصلة لعبتهم الشائنة . انهم يساندون كلا من حزب جاناتا ومؤتمر انديرا ويعملون من اجل اقامة نظام للحزبين فى البلاد كوسيلة لانقاذ احتكار السلطة البرجوازية .

وفى هذا الوضع تبحث أقسام متزايدة من الشعب عن بديل ســـياسى يلبى احتياجاتهم ومطامحهم بعد تجربة ثلاثين عاما من حكم المؤتمر وعـــام واحد من حكم حزب جاناتا . ان البديل اليسارى والديموقراطى القـــومى هو وحده الذى يستطيع أن يخلص بلادنا من الازمة الحاليــــة ويحمى استقلالها وسيادتها من المؤامرات الجديدة للامبرياليين . وتحقيق هــذا الافق سيضع حدا لحكم حزب جاناتا ويحول دون احياء حـــــكم المؤتمر .

ويعتبر الحزب الشيوعى الهندى ذلك واجبه السياسى الرئيسى فى الفترة القادمة .

ويستهدف هذا الافق أعرض وحدة ممكنة بين كافة القوى والاحزاب اليسارية والديموقراطية . وسوف تتضمن هذه الوحدة كافة الاحزاب اليسارية والديموقراطية والقوى التقدمية فى حزب المؤتمر ، ومؤتمر أنديرا وحزب جاناتا . ويحدد القرار السياسى هذه الفكرة كما يلى : على الحزب أن يكسب المساندة الجماهيرية اللازمة لتحقيق هذا الافق باقامة أعرض وحدة للقوى اليسارية والديموقراطية ورفعها الى مستوى سياسى يجعل فى الامكان تغيير ميزان القوى الطبقية فى البلاد لصالح الطبقة العاملة والتحالف العمالى ـ الفلاحى . ان مثل هذا التغير فى ميزان القوى الطبقية فحسب بالاضافة الى هجوم متنامى للقوى الوطنية الديموقراطية ضد قوى الرجعية يمكنه أن يساعد الطبقة العاملة فى وضع حد لاحتكار السلطة البرجوازى واستبداله بحكومة قومية للوحدة اليسارية والديموقراطية . وفى مثل هذه الحكومة ، سيشارك السلطة الاحزاب والقوى التى تمثل الطبقة العاملة والفلاحين والطبقة الوسطى الراديكالية والاقسام الوطنية غير الاحتكارية للبرجوازية الوطنية التى تعادى الامبريالية ، والاقطاع والاحتكار ، ومثل هذه الحكومة ستكون أداة فعالة لدفع النضال ضد الامبريالية ورأس المال الاحتكارى والاقطاع نحو مرحلة جديدة حاسمة ، ومن أجل تحولات اجتماعية اقتصادية جذرية .

ويمكن لهذا البديل أن يظهر فى عملية المعارك الجماهيرية والسياسية المريرة ضد السياسة الرجعية لحكومة حزب جاناتا وكذلك حكومة المؤتمر والحكومات البرجوازية الاخرى ومؤامرات الامبرياليين .

وفى بلاد واسعة كبلادنا ، بكل تنوعها فى السياسة والاقتصاد ، واللغة ، والدين ، والثقافة ، وفى الوضع المعقد والمائع القائم اليوم ، تبدو مهمة بناء الوحدة اليسارية والديموقراطية عملية صعبة وطويلة للمعارك السياسية والجماهيرية . وقد تتطور بشكل مختلف فى الولايات المختلفة . والجوانب المختلفة لهذه العملية لايجب أن توضع فى مواجهة بعضها البعض ـ فلا الوحدة اليسارية ضد الوحدة الديموقراطية ولا العكس . فالهدف فى كل

حالة من العمل الجماهيرى والسياسى هو بناء أوسع وحدة ممكنة للجماهير فى العمل من أجل تطوير وحدة القوى اليسارية والديموقراطية. وسيفرض علينا ذلك أن نتبنى موقفا مرنا وواقعيا فى كل ولاية وبخصوص كل مسألة واضعين فى الاعتبار كافة العوامل الملموسة المتعلقة بالمسألة . وعلى حزبنا ومنظماتنا الجماهيرية أن تبدى أكبر قدر من المبادرة فى خوض وقيادة هذه المعارك السياسية والجماهيرية .

وفى هذه المهمة ، مهمة خوض المعارك الجماهيرية وبناء وحدة القوى اليسارية والديموقراطية تحتل أهمية خاصة اقامة علاقات أوثق بين الحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » . ويرغب فى ذلك بحماس ليس فقط جماهير الشيوعيين والمتعاطفين معهم ، وانما القوى اليسارية والديموقراطية الاخرى والجماهير ذات الاتجاه الراديكالى . والخطابات المتعلقة بهذا الموضوع تنهال على مكاتب حزبنا . وحيثما نذهب يقال لنا ذلك من قبل أصدقاء الحركة الشيوعية . وطالما الجماهير والقوى التقدمية لاترى تقاربا بين حزبى اليسار الرئيسيين ، فانها لن تتزايد ثقتها بدرجة كافية فى امكانيات قيام بديل يسارى وديموقراطى قومى . ان وحدة العمل والحوار السياسى الاخوى يمكنهما أن تمهد الطريق نحو اعادة الوحدة النهائية للحركة الشيوعية فى بلادنا . ويؤيد حزبنا مثل هذه الوحدة على أساس مبدئى .

وهذا الموقف الاخوى ينبغى أن يمتد كذلك الى آلاف الشباب النكسالى الذين يشكلون جزءا هاما من القوى اليسارية . وينبغى بذل كل الجهود الممكنة من أجل دعم الوحدة مع كافة الاحزاب اليسارية والديموقراطية الاخرى التى توجد فى الاجزاء المختلفة من بلادنا .

انه لبشير طيب أن ينعقد مؤتمرى الحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » فى البنجاب فى نفس الوقت تقريبا ويؤثران على بعضهما لدرجة ما . والاجتماع الذى تم بين قادة عموم الهند للحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » فى ١٣ ابريل ١٩٧٨ فى دلهى ، والبيان المشترك الذى صدر بعد الاجتماع قد أذابا الجليد فيما يتعلق بالتعاون بين الحزبين . لقد مهدا الطريق للعمل الجماهير والسياسى المشترك حول المسائل المتفق عليها ومن أجل مواصلة المحادثات اذا مادعت الضرورة . وهذه مجرد بداية وينبغى علينا أن نبذل جهودا جادة ودؤوبة وصبورة ومبدئية كى نحقق الوحدة السياسية .

وبعد كل هذا ، فاننا مضطرون لان نقول بأن عقبة هامة اليوم فى

طريق تحقيق الوحدة اليسارية تتمثل في الخط الخاطىء للحزب الشيوعي الهندي « الماركسي » الذي يعتبر حزب جاناتا كحليف له بينما يصور حزبي المؤتمر كعدو رئيسي ويسعى بكل جهده لاسقاط حكومة الجبهة المتحـــدة في كيرالا ، التي تفخر بسجل منجزاتها . وهم يفعلون ذلك في وقت تتبنى فيه حكومة حزب جاناتا بصراحة سياسة رجعية معـــادية للشعب ، وتطلق الرصاص على العمال ، وتشجع الاعمال الوحشية ضد الهاريجانز والاقســام الاضعف الاخرى ، وتتبع تكتيكات تهدف الى اثارة النزاعات الطـــائفيــة ، والتوترات الاقليمية ، وتزداد عزلة عن الشـــعب يوما بعـد يوم . ونحن نأمل أن تتعلم قيادة الحزب الشيوعي الهندي « الماركسي » في الوقت المناسب ان صداقتها مع حزب جاناتا سياسة خاطئة .

وفي حدود مايستطيع الحزب الشيوعي الهندي ، سنبذل قصـــارى جهدنا من اجل التوصل الى وحدة يسارية وديموقراطية ووحدة شيوعية .

وفي هذا الخصوص يجب علينا أن نشير الى أن الموقف الدولي للحزب الشيوعي الهندي « الماركسي » والقائم على مايدعى بالوقوف بين الحـــزب الشيوعي السوفييتي والصين الماوية هو موقف ضار في وقت يؤدي فيه الاتحاد السوفييتي واجبه الاممي بتقديم كل مساعدة الى هؤلاء الذين يناضلون ضد الامبريالية والرجعية في جميع أنحاء العـــالم وفي وقت تتعاون فيه القيادة الماوية دون حياء مع الامبرياليين والعنصريين والرجعيين وتدعو الى وحدة شاملة ضد الاتحاد السوفييتي .

ويقول القرار السياسي للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الهندي أن التغيرات الاقتصادية الاجتماعية الرئيسية ضرورية اذا ماكان هنـــاك اتجاه لحل الازمة الحالية . ومحاولات الاصلاح الجزئي لا جدوى منها . فالجماهير الكادحة وكافة القوى اليسارية والديموقراطية يجب أن تحتشد في عمل موحد على أساس برنامج راديكالي يؤدي الى ثورة دموقراطية قومية . وقد طرح القرار السياسي مثل هذا البرنامج الملموس أمام شعب بلادنا باطلاق النداء التالي المدوي .

« ان الجماهير الكادحة وكافة القوى اليسارية والديموقراطية يجب أن تحتشد وتجذب بشكل موحد الى مجال العمل ، وأن تطالب وتكسب تأميم البيوتات الاحتكارية ، وتستولي على رأس المال الامبريالي ، وفك ارتباط بلادنا عن تقسيم العمل الراسمالي العالمي . وتطوير علاقات أوثق مـــع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الصديقة الاخرى وبلدان عـــدم الانحياز ، والغاء ملكية الارض الكبيرة وتوزيع الارض على من يفلحونها ،

وتوفير أجور تسمح بالحياة وحقوق نقابية للطبقة العاملة ، وتعزيز ومقرطة القطاع العام مع مشاركة العمال الفعالة فى الادارة ، وتغييرات ديموقراطية راديكالية فى بنية الدولة . ان الجماهير فى بلادنا تتحرك فى اتجاه طريق تطور بديل . وواجب الحزب الشيوعى الهندى ليس فقط أن ينشر على نطاق واسع وبشكل منتظم بينها المهام الرئيسية للثورة الديموقراطية مع أفق الانتقال الى الاشتراكية ، وانما عليه كذلك أن ينظم ويقود الجماهير الى العمل الحازم من اجل كسب مثل هذه المطالب الملحة والعاجلة » .

تقرير الاستعراض السياسى الذى صدق عليه مع بعض التعديلات مؤتمر حزبنا يعالج سياسة حزبنا ونشاطه منذ المؤتمر العاشر والمشاكل السياسية التى نشأت فى أعقاب الانتكاسة التى عانى منها الحزب فى الانتخابات البرلمانية فى مارس ١٩٧٧ فى عدد من الولايات .

والحدث الوحيد الذى سيطر على الحياة السياسية لبلادنا فى الفترة منذ المؤتمر العاشر للحزب كان فرض أنديرا غاندى رئيسة الوزراء حينذاك لحالة الطوارىء . وفى البداية بدأ الامر وكأنما حالة الطوارىء فرضت فحسب لمواجهة التهديدات من اليمينيين المتطرفين . لكن سرعان ما اتضحت أهدافها الاخرى ، وهى حل الازمة الرأسمالية على حساب الشعب من أجل حماية سلطة البرجوازية وفرض حكمها الشخصى من خلال استبدال البرلمان أو الديموقراطية البرلمانية بالنظام الرئاسى .

وفى ظل الوضع المعقد والمضطرب السائد حينذاك عجزت قيادة الحزب المركزية عن ادراك ماتتضمنه حالة الطوارىء بشكل كامل . ولا يعنى هذا انه لم تكن هناك دلائل على ذلك . واذا ما كانت القادة المركزية يقظة ودرست الوضع بدقة ، لكانت قد رأيت الصورة بكاملها بوضوح .

وكحقيقة ، فان حكومة أنديرا غاندى ، منذ ١٩٧٤ فصاعدا ، بدأت تقبل بصورة متزايدة الوصفة الاقتصادية للبنك الدولى ، فى شكل اقتصاد « موجه نحو التصدير » وتنازلات كبيرة للاحتكارات الهندية والاحتكارات متعددة الجنسية ، واللجوء المتزايد الى « المعونة » الامبريالية والهجمات على حقوق الشعب الكادح ، وبخاصة الطبقة العاملة ، وعلى مستوى معيشتها . وكان تركيز السلطة فى أيدى أنديرا غاندى ، وتعيين «أشخاص

يعتمد عليهم » فى مراكز السلطة فى العاصمة وفى الولايات على أساس الاخلاص الشخصى لانديرا ، والهجمات على التقدميين داخل المؤتمر ، وحل المنبر الاشتراكى للمؤتمر ، ونمو الفساد بدرجة هائلة فى الدوائر المحيطة بها ، كل ذلك كان واضحا للعيان .

وقد هونت القيادة المركزية لحزبنا لدرجة كبيرة من الخطر الذى واجهت به تلك التطورات القوى اليسارية والديموقراطية والديموقراطية البرلمانية فى البلاد . ولوحظت كل تلك الجوانب على انفراد ، ولكنها لم ترى فى وحدتها المتكاملة وبكل ماتتضمنه من محاولات انديرا غاندى انقاذ حكم البرجوازية وسلطة المؤتمر ومركزها الشخصى .

وكان فرض حالة الطوارىء فى الداخل فى ٢٥ يونيو ١٩٧٥ هو النتيجة المنطقية للتطورات السالفة الذكر . وفى ظل حالة الطوارىء ، عطلت الحقوق الاساسية ، وشددت الرقابة على الصحف ، وفرضت قيود شديدة على عقد الاجتماعات العامة وانكر حق طرح هذه المظالم أمام القضاء .

وفرضت أعباء جديدة على العمال والفلاحين والطبقات الوسطى باسم مكافحة التضخم ، بينما أغدقت الامتيازات على أصحاب المصالح الكبيرة . وحتى برنامج النقاط العشرين ، الذى كان يهدف الى تحسين أحوال فقراء الريف ، حزب فى النهاية من خلال برنامج سانجاى غاندى (١) ذى الخمس نقاط . ولجأوا كذلك الى هدم أكواخ الفقراء باسم تجميل المدن والتعقيم الاجبارى للتحكم فى زيادة السكان ، واتخذت تلك الاجراءات أبعادا هائلة فى دلهى وفى العديد من المقاطعات فى شمال الهند .

وجرت اعتقالات تعسفية لم تسلم منها حتى الاحزاب اليسارية بما فيها حزبنا . وبذلك منعت القوى اليسارية والديموقراطية من الكفاح ضد تهديد الرجعية اليمينية عن طريق تعبئة الجماهير الكادحة .

والى جانب عجزها عن رؤية الاهداف الثلاثة التى استوحتها السيدة غاندى بوضوح من فرض حالة الطوارىء فى الداخل ، توصلت القيادة الحزبية المركزية كذلك الى فهم خاطىء يقول أن انقساما حدث بين الاقسام

---

(١) الابن الاصغر لانديرا غاندى ، وهو لم يشغل أى منصب حكومى ، ولكنه كان يراس « مركز قوة فوق الدستور » ــ المحرر

الرجعية والتقدمية للبرجوازية وان حالة الطوارىء يمكن أن تستخدم لتحقيق تحولات تقدمية فى علاقات القوى وسلطة الدولة فى اتجاه ديموقراطى وطنى . وبالتالى جرت المبالغة بدرجة كبيرة فى امكانيات البرجوازية الوطنية وحكومة انديرا غاندى وفى قدرة حزبنا على تحقيق هذه التحولات الايجابية فى الوضع . وجرى فهم امكانيات الوضع الدولى المواتى والسياسية الخارجية التقدمية فى علاقتها بتأثيرها على الوضع الداخلى ، بطريقة ميكانيكية . ولم يدركوا على نحو سليم أن السياسة الخارجية التقدمية لايمكن حمايتها فى النهاية دون سياسة داخلية تقدمية .

كان هذا هو خطأنا الرئيسى وكنتيجة لهذا الفهم الخاطىء أيدنا حالة الطوارىء . وماترتب على حالة الطوارىء لم يكن تحولات تقدمية فى اتجاه ديموقراطى وطنى وانما العكس تماما .

لقد ساعات حالة الطوارىء بالفعل قوى الرجعية اليمينية فى استغلال سخط الشعب والوصول الى السلطة من خلال تفويض شعبى باعتبارهم المدافعين عن الحريات الديموقراطية . ولم تساعد مساندتنا لحالة الطوارىء لا الدفاع عن مصالح الشعب ، ولا بناء مقاومة شعبية ضد الرجعية اليمينية . وكان من الممكن محاربة الرجعية اليمينية بالقوانين القائمة فى ارتباطها بالتعبئة الجماهيرية ، كما حدث فى بيهار وبعض الولايات الاخرى ولهذا السبب توصل مؤتمر بهاتيندا الى نتيجة أن مساندة حزبنا لحالة الطوارىء كانت خاطئة منذ البداية .

وحزبنا لايخفى أخطاءه أبدا عن الجماهير . انه يعترف بها بشجاعة ويصححها . والذين يريدون الحط من قدر حزبنا ، يحاولون تشويه سمعته ، مستفيدين من هذه الاخطاء . وبعض الذين لم يفعلوا شيئا خلال فترة الطوارىء أو حتى تهادنوا مع انديرا غاندى يدعون البطولة الآن أمام الشعب ويتهجمون على حزبنا لموقفه فى تلك الفترة . ولدينا كل الاسباب التى تدفعنا الى القول بأنه رغم مساندتنا لحالة الطوارىء ، فان سجل نشاطات حزبنا ضد التجاوزات التى جرت ليس له مثيل . فقد كافح الحزب الشيوعى الهندى بشجاعة ضد التجاوزات والهجمات الفظة لنظام أنديرا غاندى خلال حالة الطوارىء ضد الطبقة العاملة وعامة الشعب . لقد أبرز بشكل واضح الخطر الناجم عن المؤتمر الذى خلقته أنديرا غاندى على الكيان الديموقراطى لبلادنا . وفى مجالس الولايات والبرلمان وقف

حزبنا ضد المؤتمر . وبسبب كل ذلك ، استحق حزبنا غضب أنديرا غاندى ومؤتمرها .

ولا يعني ذلك أن كل مااحتاجه الوضع أو كان ممكنا قام به حزبنا فى تلك الفترة . ونحن نعرف أننا اذا لم نكن قد اتخذنا موقفا خاطئا من حالة الطوارىء لكانت منجزاتنا أكبر بكثير . لقد حد موقفنا من حالة الطوارىء من نفوذنا .

واستفادت قيادة الحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » من الانتكاسة التى عانى منها حزبنا فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٧ ، وبدأت حملة خبيثة تقول بأن برنامج حزبنا وسياسته قد برهنت على أنها خاطئة وأن برنامجهم وسياستهم هى السليمة .

وليس هناك من شك فى أننا ارتكبنا خطأ فيما يتعلق بحالة الطــوارىء وما تلاها من أحداث . ولكن ذلك لايعنى خطأ التحليل الاساسي والاستنتاجات الاساسية لبرنامج الحزب . فتحديده للطابع الطبقى للدولة الهنـــدية ، ولتناقضات طريق التطور الرأسمالى والطبيعة المزدوجة للبرجوازيه غيـــر الاحتكارية ماتزال تحتفظ بصحتها بشكل كامل . وينطبق هذا أيضا على الشعار التكتيكى لبناء جبهة ديموقراطية وطنية ، ودور الطبقة العـــاملة والتحالف العمالى الفلاحى ، وأفق الثورة الديموقراطيـــة الوطنيـــة . وكحقيقة ، فان الاخطاء التى ارتكبت خلال فترة الطوارىء انما ترجع الى انحراف عن برنامج الحزب ، وبخاصة فيما يتعلق بالبرجوازية الهندية .

واذا ما تناولنا سياسة الحزب فى فترة ما قبل الطوارىء ، لوجب أن تقول انها كانت فترة مجيدة للحزب . فقد لعب حزبنا دورا هاما فى حياة البلاد . وكافح الجوانب المعادية للشعب والرجعية فى سياسة حـــكومة انديرا غاندى فى الوقت الذى كان يؤيد الجوانب التقدمية بتطبيـــق تكتيك الوحدة والصراع فى علاقته بالبرجوازية الوطنية بشكل سليم .

والمعارك الجماهيرية والسياسية التى خاضها حزبنا فى تلك الفترة لم يسبق لها مثيل فى طابعها القومى . فلم يقف حزبنا فحسب الى جانب الشعب الكادح ولكنه دافع بحزم عن الديموقراطية المدنية ووحدة بلادنا ضد هجمات كافة القوى الرجعية الطائفية وغيرها من القوى المخربة .

والى جانب معركة احتلال الارض عام ١٩٧٠ ، ينبغى أن نذكر حمـــلة « تنفيذ التفويض » فى الفترة من ١ ــ ٨ مايو ١٩٧٢ ضـــد التراجعـات فى

سياسة حكومة المؤتمر وما صاحبها ــ من مسيرات ضخمة فى شـــانديجار وكالكوتا وحيدر أباد ، والاجتماع الجماهيرى الذى لم يسبق له مثيـل فى بانتاد والذى ضم ٥٠٠٫٠٠٠ شخص . وفى الاسبوع الاول من أكتوبر ١٩٧٢ تعرض ٣٥٠٫٠٠٠ شخص للاعتقال فى ساتياجراها (١) على نطاق البلاد ضد ارتفاع الاسعار ومن أجل اصلاحات راديكالية . وأعقب ذلك المسيرة الكبرى التاريخية الى البرلمان فى مارس ١٩٧٣ . ثم جاءت الحملة القومية ضد الاكتناز من ١ ــ ٧ أغسطس ١٩٧٣ . ولعب حزبنـــا دورا بارزا فى الاضرابات الكبيرة لعمال النسيج والجوت فى بومباى وغرب البنغـــال وتاميلنادو فى أوائل ١٩٧٤ وأعمال باند (٢) العديدة فى ذلك الوقت .

ومن المسائل التى يفخر بها الحزب أنه كافح ضد الهجوم الرجعى اليمينى ليس بالكلمات وحدها ، وانما بالتعبئة الجماهيرية المناضـــلة والشجاعة وبالعمل . ومنذ حوالى نهاية ١٩٧٢ حتى ابريل ١٩٧٣ كافحت وحدتنا الحزبية فى اندهرا ضد الحركة الانفصالية ، ومنذ منتصف ١٩٧٤ واجهت وحدة حزبنا فى بيهار وردعت « الثورة الكليـة » التى قادها جايا براكاشى نارايان . وقاوم الحزب فى كافة أنحاء البلاد التهديد الرجعى اليمينى . وعندما هزم هذا التهديد ، تقدم حزبنا كرائد للديموقراطيـــة البرلمانية . واذا لم نستطع أن نفعل أكثر من ذلك ، فان ذلك يرجع الى جوانب الضعف الاساسية الدائمة لحزبنا والتى أشرنا اليها مرارا فى وثائقنا .

وانه لما يعتز به حزبنا كذلك أنه خلال كل الفترة فى كيرالا لعب الحزب دورا بارزا رئيسيا فى اجراء اصلاحات ديموقراطية هامة حسنت من وضـع الجماهير وبذلك وفرت استقرارا سياسيا للولاية . وواجه الحـــزب الشيوعى الهندى « الماركسى » هزيمة انتخابية هناك فى مـــارس ١٩٧٧ بسبب عدائه الاعمى لهذه الحكومة .

واستنادا الى التقييم السابق لفترة ماقبل الطوارىء ، توصل مؤتمـر الحزب الى استنتاج مؤداه أنه سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن تلك الانجازات تحققت على أساس خط سياسى خاطىء . لقد تحققت تلك الانجازات لانه حتى الربع الاخير من عام ١٩٧٤ اتبع حزبنا خطا سياسيا صائبا فى الاساس ولا يعنى ذلك أنه لم يكن هناك تهوين أو مبالغة فى بعض جوانب الوضـع

---

(١) انتهاك رمزى للقانون والنظام ــ المحرر
(٢) توقف جماعة عن كل انتاج أو تجارة ، تعطيل عملية النقل ، والمكاتب والمدارس، الخ ــ المحرر

أو أنه لم يرتكب أية أخطاء • انه يعنى فحسب انه رغم بعض الاخطاء هنا وهناك ، كان حزبنا ينتهج خطا صائبا فى جوهره .

وكنيتجة لذلك وسع حزبنا لدرجة كبيرة من عضويته وامتد الى مناطق جديدة . وفى كيرالا واندهرا وتاميلنادو وبعض الاماكن الاخرى انضمت أقسام من الحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » الى حزبنا ، بينما لم يذهب اليهم من أعضائنا سوى النذر اليسير .

ودافع حزبنا كذلك عن خط الحركة الشيوعية الدولية ومبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية كفصيلة مخلصة فى الحركة الشيوعية الدولية ، ضد هجمات الماويين والانتهازية اليسارية .

وفى الختام ، فقد خرج حزبنا من المؤتمر الحادى عشر ، كما أشرنا من قبل ، أكثر وحدة وثقة ، وبنظرة أوضح للمستقبل . ان أعداؤنا وقد خابت آمالهم ، يعزفون الآن نغمه مختلفه • فهم يقولون انه رغم ان حزبنا لم ينقسم ، فانه مازال منقسما الى يمين ويسار ووسط . وهم يقولون ذلك لتشويه سمعة حزبنا وتشويش الشعب .

وكل شخص يعرف أن القرار السياسى وتقرير التطورات الدولية والتقرير التنظيمى قد أقرت بالاجماع . وحتى تقرير الاستعراض السياسى الذى كان حوله خلاف أقر فى النهاية دون أن يصوت ضده أحد ومع امتناع عدد محدود للغاية • وصوت المندوبون على التعديلات ليس على أساس اتجاهات واضحة تماما وانما على اساس ميزة كل تعديل • ومن ثم كان التصويت متباينا ، مما لا يعنى وجود اتجاهات محددة • وانتخب المجلس القومى ، أعلى هيئة قيادية فى الحزب بالاجماع . وأخيرا انتخب المجلس القومى ، الرئيس ، والسكرتير العام ، والسكرتارية المركزية ، واللجنة التنفيذية المركزية للحزب . بالاجماع كذلك .

لقد كان المؤتمر الحادى عشر لحزبنا فى بهاتيندا نجاحا كبيرا من جميع الوجوه • وقد سوى حزبنا حساباته مع الماضى وهو مستعد الآن للقيام بواجباته نحو شعب بلادنا بنظرة واضحة للمستقبل .

●

جنـوب أفريقيـا

الثورة فى صعـود

بقلم : يوسف دادو

شهد شهر يونيو حدثين لهما دلالتهما فى تاريخ نضال شعوب جنوب افريقيا المقهورة ضد العنصرية وطغيان الفصل العنصرى ، ومن أجل التحرر الوطنى والاجتماعى • فقد كان السادس عشر من يونيو هو الذكرى الثانية لانتفاضة سويتو الباسلة التى ارتفعت بالنضال فى جنوب افريقيا العنصرية الى مستويات جديدة أرقى • كما يجرى الاحتفال بالسادس والعشرين من يونيو فى كافة أنحاء البلاد باعتباره يوم حرية جنوب افريقيا منذ عام ١٩٥٠ حين احتفل به المؤتمر الوطنى الافريقى بالتحالف مع الحزب الشيوعى وغيره من المنظمات الوطنية • وفى هذا اليوم يجد شعبنا ـ بالرغم من الارهاب العنصرى ـ الطرق والوسائل لتكريم ذكرى الابطال الذين سقطوا ، وللاعراب عن تضامنه مع أولئك الذين يعانون فى سجون فورستر ، ويؤكد من جديد اعتزامه مواصلة النضال بلا هوادة حتى تحقيق النصر النهائى •

ومنذ عمليات اطلاق النار الاولى فى سويتو تعرض الآلاف من أبناء شعبنا للاغتيال والتشويه والقبض والتعذيب . وتظهر كل يوم شواهد جديدة على قدرة الحكام العنصريين التى لاتنفد على ارتكاب أبشع جرائم القهر والاستعباد . لكن الدماء التى سالت فى شوارع سويتو وغيرها من مناطق الجيتو زادت من تصميم شعبنا على مضاعفة مقاومته على كل الجبهات ، ويكشف أبناء الشعب فى المعارك الجارية عن قدر كبير من الابداع والابتكار . فقد نصبوا الكمائن لسيارات الشرطة ، وأقاموا مختلف أنواع المتاريس ، وانتجوا القنابل بأنفسهم ، ونظموا أعمال محكمة ضد المؤسسات التى ترمز الى الفصل العنصرى . ومن الواضح أن العدو قد فشل فى اجبار شعبنا على الخضوع ، وانتقلت المبادرة بلا رجعة الى أيدى الشعب ومنظماته التحريرية .

وثورات التحرر الوطنى تترابط ترابطا جدليا ، وتتحدد ــ من ناحية ــ بالخصائص القومية المعينة ، ومن ناحية أخرى بطبيعة العصر التاريخى الذى تحدث فيه ومضمونه ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم بأسره . ونحن نشهد ــ على عكس الازمة الاقتصادية ــ الاجتماعية العميقة التى يعانى منها العالم الرأسمالى ــ تزايد قوة العالم الاشتراكى الاقتصادية والسياسية والمعنوية ، وبخاصة الاتحاد السوفييتى قلعة الحرية والديموقراطية العظيمة وتأثيره الايجابى المتزايد على ثورات التحرر الوطنى .

وتغدو عملية الانفراج والتعايش السلمى عملية عميقة فى تأثيرها . وفى ظل هذه الظروف تحقق شعوب قارتنا انتصارات جديدة فى الضغط على مواقع الامبريالية . فقد أدت الانتصارات فى انجولا وموزمبيق الى تغيير الوضع السياسى ــ الجغرافى فى أفريقيا الجنوبية ، ومنحت دعما لايمكن تقديره لروح النضال والمعنويات القتالية للجماهير الكادحة المقهورة فى ناميبيا وزيمبابوى وجنوب افريقيا . وأبرزت القوى الثورية فى أنجولا وموزمبيق ، الفارق بين التحرر الوطنى والقهر ، بين سلطة الشعب والسلطة التى تمارسها أقلية ذات امتيازات من صنائع الامبريالية والاستعمار الجديد . ولاشك فى أن المثل الذى ضربته سيكون الهاما لشعبى ناميبيا وزيمبابوى اللذين يصدان محاولة فرض « التسوية الداخلية » المشينة عليهما ، وهى لاتعدو فى الواقع أن تكون صفقة استعمارية جديدة مع السلطات العنصرية تترك السيطرة للاقلية البيضاء فى هذين البلدين .

ومن الضرورى أن تلتف القوى الديموقراطية والتقدمية الثورية العالمية حول منظمة شعب جنوب غرب افريقيا « سوابو » والجبهة الوطنية ، فهما المتحدثان الحقيقيان باسم شعبى ناميبيا وزيمبابوى . وعلينا أن نبذل كل مانستطيع لاحباط مؤامرات الامبريالية العالمية التى تسعى فى المقام الاول الى منع اقامة سلطة شعبية حقيقية فى ناميبيا وزيمبابوى ، وبالطبع فى جنوب افريقيا قلعة العنصرية والاستعمار الجديد والامبريالية فى القارة الافريقية .

وفى نشاط محموم يتقدم الامبرياليون بكل ألوان الوصفات الاصلاحية فى

محاولة لمنع حدوث مثل هذا التحول الثورى فى بلادنا • فامبريالية الولايات المتحدة ونظام الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا يتقاسمان الهدف نفسه ـ حماية الرأسمالية فى جنوب أفريقيا ـ لكنهما يختلفان حول أفضل الطرق لتحقيق ذلك • فلدى فورستر ايمان ليس له مايبرره ـ ويقوم على التعلل بالامانى أكثر منه على الواقع الملموس ـ بأنه يستطيع احتواء الموجة الثورية فى جنوب افريقيا بتقديم تغييرات شكلية محدودة بمعدل بطئ للغاية • أما الدول الامبريالية فانها ـ من الناحية الاخرى ـ تريد أن يتحرك نظام الحكم العنصرى بسرعة أكبر لتصفية بعض الهياكل العنصرية ، مع المحافظة بالطبع على نظام جنوب أفريقيا الاقتصادى ـ الاجتماعى ، ولكن مع خلق مصلحة فى المحافظة على هذا النظام لدى بعض أقسام الفئات الوسطى السوداء •

والامبرياليون يدركون أن التأييد الصريح لنظام الحكم العنصرى يزيد من سخط الافريقيين عليهم وبذا يعرض المصالح الامبريالية والاحتكارية فى افريقيا للخطر ، وهكذا زعم كارتر بصورة ديماجوجية فى نيجيريا ـ خلال رحلته الافريقية القصيرة ـ أنه عازم على تصفية « نظام الفصل العنصرى القمعى الشرير » فى جنوب افريقيا • ومن المستحيل بالطبع على امبريالية الولايات المتحدة الامريكية أن تعمل على نقل سلطة سياسية واقتصادية حقيقية من الاقلية البيضاء الى الاغلبية السوداء المقهورة ، لأن هذا سيتناقض مع أساس الاستعمار الجديد ذاته • كما أن الديماجوجية والمناورات السياسية والتعديلات التكنيكية لن تخدع الجماهير المقهورة فى جنوب افريقيا •

وتصعد الدول الامبريالية حملتها المعادية للشيوعية وللسوفييت لاخفاء نواياها الحقيقية ، وتبذل كل ما فى وسعها لتقسيم حركة التحرر الوطنى والقوى التقدمية والديموقراطية العالمية التى تؤيد نضالنا • وسيضاعف الامبرياليون ، بلاشك ، جهودهم لعزل الحركات الثورية فى جنوب افريقيا وغيرها من البلدان الافريقية عن حلفائها الطبيعيين الحقيقيين ، عن العالم الاشتراكى ، ويمكن أن ننتظر أن يتجه حقدهم الى الاسرة الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفييتى وكوبا • فبمساعدة رفاق السلاح هؤلاء تمكنت انجولا من هزيمة العدوان الامبريالى العنصرى ، وتمكنت أثيوبيا من طرد المعتدين الصوماليين •

وقد يرغى الامبرياليون وكتابهم المأجورين ويزبدون ، ولكن شعوب افريقيا تزداد ادراكا لحقيقة أن الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى هم أصدقاؤهم وحلفاؤهم الحقيقيون ، وأنه بدون مساعدتهم فان التحرر الوطنى والاجتماعى فى ظروف العدوان الامبريالى الذى لايكف ليس أكثر من وهم • ونحن شيوعيى جنوب افريقيا نرفض بحزم أية محاولة لنشر العداء للسوفييت أيا كان مصدرها ، لانها لايمكن الا أن تجلب القمح الى طاحونة أعدائنا الطبقيين الصريحين والمستترين •

لقد أكدت الممارسة التاريخية صحة تقييم الماركسية اللينينية للثورة « كقاطرة للتاريخ » • وما يحدد مضمون الثورة وعمقها ليس القهر العنصرى

والقومي فحسب ، بل كذلك الطابع الطبقي للمجتمع المعين • فكل ثورة ، وأي ثورة تحكمها قوانين الصراع الطبقي وقواعده ، وبالتالى فان الطبقات الاجتماعيه التقدمية هي قوى الثورة الدافعة الحقيقية • وقد طرح لينين ذلك بجلاء حين قال « ان انتقال سلطة الدولة من طبقة الى آخرى ، هو العلامة الاولى ، الرئيسيه ، الاساسية ، لثورة ما ، سواء بالمعنى العلمي الدقيق أو بالمعنى السياسي العملي لهذه الكلمة » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٤١) •

وحين نطبق المنهج الماركسي اللينيني على دراسة طابع الثورة فى جنوب افريقيا فاننا نركز على التفاعل بالغ التعقيد بين العوامل الوطنية والعوامل الطبقية والفهم العلمي الواضح والموقف السياسي الصحيح المتسق فى هذه المسألة ، شرطان لازمان للاطاحة بنظام الفصل العنصري غير الانساني • وهكذا يكمن المبدأ المنهجي والسياسي ــ الاجتماعي الرئيسي للمعالجة الماركسية اللينينية للثورة فى جنوب أفريقيا في تناول المسألة القومية فى صلتها التى لاتنفصم بحل التناقضات الطبقية العدائية بين المستغلين والمستغلين •

وما من مكان آخر فى العالم يعلن فيه من فى السلطة الايديولوجية العنصرية مثل هذه الصراحة ، أو تتجسد بشكل منتظم فى أكثر القوانين ظلامية ومعاداة للانسانية وللديموقراطية • وتنكر مثل هذه القوانين على السود المقهورين « الافريقيين والهنود والملونين » وبخاصة الاغلبية الافريقية أدنى الحقوق الاساسية للديموقراطية البرجوازية ذاتها • ويتعرض الافريقيون منذ المهد للمهانة ، وللسخرية من لون بشرتهم ، وتدمير حضاراتهم وتقاليدهم • وفى كل يوم يلقى آلاف الافريقيين فى السجون أو ينفون الى مناطق بعيدة تطبيقا لهذا القانون أو ذاك من القوانين العنصرية البغيضة التى تمتلىء بها المدونات القانونية فى جنوب افريقيا • فالتشريع العنصرى عنصر رئيسى فى نظام القهر القومى فى بلادنا •

ويشكل القهر القومي فى الظروف السائدة فى جنوب أفريقيا عاملا بالغ الاهمية في الاستغلال المفرط للشعب الافريقي • وتبلغ الهوة فى مقدار الدخل الوطني للفرد الواحد بين البيض والافريقيين ١٤ : ١ • وتنكر على العمال الافريقيين حتى الحقوق الاولية في المفاوضة الجماعية مع أرباب العمل ، ويمنعون بحكم القانون ــ الا حيثما كان هذا ملائما لنظام الحكم العنصري والاحتكاريين ــ من أداء أعمال ماهرة ، ولا يتمتعون بأى تأمين اجتماعي أو تأمينات بطالة ، ويعتبرون مجرد « وحدات عمل » يتم التخلص منها اذا لم تكن قادرة على خدمة

« احتياجات » الاقلية البيضاء • ويجبر الافريقيون فى المناطق الريفية على العمل فى مزارع البيض مقابل أجور الكفاف ــ و « يدفع » للبعض عينا لا نقدا ــ ولا يسمح لهم بأن يمتلكوا حتى قطعة صغيرة من الارض فى ٨٧٪ من مساحة البلاد• أما فى الثلاثة عشر فى المائة المتبقية ــ مايسمي بالبانتوستان فان جدب الارض وبؤس الحياة يجبرهم على أن يصبحوا عمالا مهاجرين • وليس لدى الفئات الوسطى الافريقية ــ كما هى عليه الآن ــ سوى مدى تطور محدود للغاية لانها

تعاني بنفس القدر القوانين العنصرية والتمييز العنصرى شأنها شأن كل أقسام السكان السود الاخرى ٠

وهكذا نرى أن المسألة القومية فى جنوب أفريقيا العنصرية لايمكن أن تعتبر جانبا « ثانويا » أو مجرد شكل يتخذه نظام الاضطهاد الطبقى ٠ فان عامل التعبئة الرئيسى للشعب الافريقى هو استجابتهم للقهر القومى والعنصرى ، وانطلاقا من ذلك يبذل المؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا جهدا كبيرا لزيادة وعى الافريقيين الذاتى القومى وتعميقه ولغرس العزة القومية فى نفوسهم والثقة فى قوتهم ٠

وينبغى علينا ــ كما علمنا لينين ــ ألا نقلل من شأن العوامل النفسية فى المسألة القومية ٠ وقد عالج الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا منذ تأسيسه فى عام ١٩٢١ هذه القضية ٠ وفى سنوات التكوين كان هناك اتجاه للمبالغة فى شأن دور العمال البيض فى الصراع الطبقى نتيجة لأن العمال البيض فى ذلك الحين كانوا يمثلون أغلبية القوى العاملة فى الصناعة ، وأنهم كانوا حسنى التنظيم يقومون بأعمال اضرابية نضالية ، فى حين كانت الطبقة العاملة الافريقية من الناحية الاخرى قوة اجتماعية ناشئة ، وكان المؤتمر الوطنى الافريقى مايزال فى دور التحول الى ناطق قيادى ديناميكى باسم الشعب الافريقى فى مجموعه ٠

وبعد مؤتمر الكومنترن السادس ، الذى حضره كذلك وفد من حزبنا ، صيغ الخط العام الصحيح بالتفصيل للمرة الاولى ٠ ويدعو قرار لجنة الكومنترن التنفيذية فى ١٩٢٨ ، حول مسألة جنوب افريقيا ، دون لبس الى التحرر الوطنى للشعب الافريقى ، مما انعكس بوضوح فى شعار جمهورية للسكان الاصليين ٠ وبعد فترة أصبح هذا الخط أكثر وضوحا اذ كيفه الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا ليتفق مع الوضع الخاص الذى كان يواجهه فى مختلف الفترات التاريخية وتغلب على الاقطار الانعزالية ، ووصل الى أكمل تعبير عنه فى برنامج الحزب الذى أقر فى عام ١٩٦٢ ٠ وقد ساعدتنا الاممية الشيوعية والخبرة المتجمعة للقوى الثورية العالمية ، وبخاصة خبرة ثورة اكتوبر العظمى ، كثيرا فى سعينا ٠

وعلى أساس الخبرة الوطنية والاممية يصف برنامج الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا البلاد بأنها « استعمار من طراز خاص » أى أن لدينا « بلدين فى جنوب افريقيا » داخل كيان جغرافي واحد ، أحدهما « جنوب افريقيا البيضاء » وتتسم بكل السمات الرئيسية لرأسمالية الدولة الاحتكارية والآخر « جنوب أفريقيا غير البيضاء » التى نجد فيها بعض السمات الرئيسية للطراز الاستعمارى من الحياة والادارة والحكم ٠ وانطلاقا من ذلك توصل الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا الى النتيجة التالية : « يعمل الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا من أجل جبهة موحدة للتحرر الوطنى كمهمة مباشرة رئيسية له ٠ وهو يسعى الى توحيد كل أقسام الشعب الديموقراطى المقهور وطبقاته من أجل ثورة وطنية ديموقراطية لتحطيم سيطرة البيض ٠ وسيكون المضمون الرئيسى لهذه الثورة هو التحرر الوطنى للشعب الافريقى ٠٠٠ وتحطيم الاستعمار وكسب

الحرية الوطنية هما الشرط الاساسى ومفتاح التقدم اللاحق نحو الهدف الاسمى للحزب الشيوعى : اقامة جنوب افريقيا اشتراكية ، وارســـاء أسس المجتمع الشيوعى اللاطبقى » •

ان انتصار ثورة التحرر الوطنى فى جنوب افريقيا يرتبط ارتباطا لاينفصم بتحطيم هذا النظام الاقتصادى ـ الاجتماعى الذى يغذى العنصرية والفصـــل العنصرى ويبقى عليهمـا • والقفـز على مرحلة الثـورة الوطنية الديموقراطية الموضوعية المحددة تاريخيا يعنى الكارثة • ومن الناحية الاخرى فبفضل المستوى الموضوعى لتطور جنوب افريقيا الاقتصادى والاجتماعى ، وسجل نضال الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى الطويل توجد فى جنوب افريقيا قوى طبقية منظمة منضبطة يمكن أن تلعب دور «حافر قبر» الرأسمالية ، وهى فى المقام الاول الطبقة العاملة السوداء المركزة أساسا فى المناجم والمصانع والموانى ، والتى أوضحت باتساق فى الممارســـة أنها أقوى خصم للعنصرية ، وأنها القوة الاجتماعية الدافعة الاساسية للتغيير • وتميل طاقاتها الثورية الى النمو موضوعيا فى فترة يتزايد فيها انغماس جنوب افريقيا العنصرية فى أعمق أزمة اقتصادية ـ اجتمـاعية فى تاريخهـا • وتتسم هذه الازمة بهبوط الانتاج الصناعى ، وتصاعد التضخم ، والبطالة الواسعة بين السكان السود «مليونين» ، وحتى اذا كانت ظروف بعض قطاعات الاقتصاد تتحسن فان هناك مايشير الى أن الاقتصاد لن يكون قادرا على التغلب على الاضطرابات فى عام ١٩٧٨ • ومع تفاقم الازمة ، وازدياد العزلة الدولية للعنصريين ، وتصاعد الكفاح الســـياسى والمسلح ضد نظام الحكم ، ينضج الوضع الثورى بالتدريج •

وقد أدرك الحزب الشـــيوعى فى جنوب أفريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى بوضوح دائما أن النضال الثورى لسحق نظام الحكم الوحشى الشرير فى جنوب افريقيا عملية معقدة بالغة الصعوبة والتناقض • وبعد استنفاد امكانات النضال غير العنيف ـ ولم يتورع العدو عن استخدام القوة الوحشية لمواجهته ـ قرر الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى فى عام ١٩٦١ بدء كفاح ثورى مسلح • وأكدت أحداث سويتو ، ثم فيما بعد أحداث أكتوبر ١٩٧٧ حيث خطرت ١٨ منظمة كلها تدعو الى تكتيكات الاعمال غير العنيفة صحة هذا القرار • وهذا العمل الاخير أظهر حتى للناس قصيرى النظر ســياسيا أن نظام الحكم العنصرى ليس مستعدا للسماح حتى بالنقد والاعمال المعتدلة • وقد أصبح الكفاح المسلح أكبر العوامل دلالة فى النضال الثورى ، غير أن علينا أن نتقن باصرار أكبر ، كمحترفين ، القدرة على الربط بين مختلف أشكال النضال ، المسلح وغير المسلح ، القانونى وغير القانونى ، وأن نعبىء الجماهير للاعمال النضالية •

ورغم أن الطبقة الحاكمة فى جنوب أفريقيا قد اهتزت نتيجة أحداث سويتو وغيرها من الاحداث التى ترتبط بها ، فان العدو وجهاز دولته القمعى لم يصلا بعد الى نقطة التمزق والتحلل • فمازال العدو يحتفظ باحتياطات كبيرة من القوة والموارد ، ومازال قادرا ، وان يكن بوحشية بالغة ، على أن يعمل بطريقة متماسكة

وبذلك يحد من نطاق الاعمال النضالية ومداها • ومن المهم كذلك أن نعترف بأن خميرة التمرد لم تشمل البلاد كلها ، لأن المناطق الريفيـة لم تتأثر تأثيرا عميقا • وفضلا عن ذلك فان أحداث سويتو وغيرها من الاحداث لايمكن بذاتها أن تتحول الى انتفاضة مسلحة شاملة ، فلم تكن هذه الاحداث هدفا فى ذاته ، بل انها تشكل جزءا رئيسيا من عملية الارتفاع بوعى الجماهير السياسى ، وقد أثرت تأثيرا حاسما على اعداد الفصـــائل والوحدات السرية المتحركة من أجل أعمال سياسية ومسلحة هجومية ودفاعية •

والمهام التى تواجهنا اليوم لايمكن اختزالها ، كما يقول البعض ، الى المسائل العسكرية التكنيكية ومسائل التنظيم ، التى تعتبر عوامل حاسمة • فكما يقول أحد البيانات الاخيرة للجنة حزبنا المركزية فان « كفاح الشعب المسلح عملية طويلة • وحتى لو توافرت الآن الظروف لتوسيع الكفاح توسيعا هائلا فينبغى ألا تغرينا العواطف والانفعال الوقتى على أن ننشر وهما خطرا مدمرا بأنه سيكون قصيرا وسريعا • غير أنه لاشك فى أن الوضع الجديد قد قرب أكثر من أى وقت مضى امكانية البداية الفعالة للكفاح المسلح ، وهناك بالفعل شواهد علنية على أن وحدات من اومكونتو وى سيزدى « الجناح العسكرى للمؤتمر الوطنى الافريقى » قد بدأت بالفعل تعمل ضد العدو » •

وعلى القوى الثورية أن تقيم الوضع فى البلاد بكل تعقيداته لكى تستجيب بأكثر الطرق فعالية • ويمكن أن يؤدى العجز عن ذلك الى انهيار الروح المعنوية داخل صفوف المقهـورين ، وبذا يعطى فورستر وحلفاؤه الامبرياليون امـكانية سحق موجة النهوض الثورية الصاعدة بشكل عاصف •

وعلينا أن نعزز تنظيماتنا السرية كيما نكفل للنشاط المسلح أساسا راسخا فى كل جزء من البلاد ، ونوجه ونقود سخط الجماهير وأعمال الشعب النضالية • فوجود قيادة مجربة مخلصة للمؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشـــيوعى فى جنوب افريقيا ذات جذور عميقة وسط الشعب هو وحده الذى يمكن أن يكفل الاستجابة التكتيكية والسياسية السليمة لوضع متغير متطور بسرعة ، وتزيد أهمية ذلك حين نأخذ فى اعتبارنا أن أعدادا كبيرة من الشـــباب والطلاب قد تعلمت من خبرتها الذاتية أن عليها كيما تهزم العدو أن تكتسب المهارات السياسية والعسكرية اللازمة التى لايمكن أن توفرها سوى الهياكل السرية حسنة التنظيم للمؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا •

ويعمل حزبنا الآن بطاقة مضاعفة فى صفوف مختلف الطبقات وأقســـام السكان ، بما فيها العناصر الديموقراطية والتقدمية بين السكان البيض • وقد اتخذ الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا بقوة متجددة الخطوات اللازمة لتنظيم الطبقة العاملة ، وتثقيفها السياسى ، وبخاصة على مستوى المصنع ، ونشر العلم الماركسى اللينينى على نطاق أوسع • ونحن نؤيد كل التأييد مؤتمر نقابات جنوب افريقيا ، وهو جزء لايتجزء من حركة التحرر الوطنى ، فى نضاله من أجل تحسين ظروف عمل العمال السود وزيادة أجورهم ، وتوسيع الحقوق الضئيلة للنقابات

الافريقية ، وتنظيم العمال السود فى نقابات نضالية ، وتعبئتهم من أجل وحدة هدف وعمل على نطـاق البلاد ، وتطوير هيـاكل سرية قابلة للحياة فى مجال الحياة ٠

لقد أبدى الشباب والطلاب المناضلون مدى استعدادهم للتضحية من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى ٠ وينبغى أن نبث مضموننا ثوريا وسياسيا أوضح فى المنظمات الجماهيرية التى يعبر من خلالها هذا العدد الكبير من الشباب والطلاب عن آلامهم وآمالهم ٠ ومن السمات المشجعة فى الفترة الاخيرة تزايد سعى المناضلين الشبان الى فهم أعمق للماركسية اللينينية ٠ ومن الامور ذات الاهمية الحيوية لمستقبل الثورة أن نضفى مضموننا اجتماعيا أكثر وضوحا على الرفض العفوى للرأسمالية الذى يعبر الشباب والطلاب المناضلون عنه بقوة ٠

ولاشك فى أن قدرة حركتنا على تعبئة الجماهير العاملة فى الريف وتنظيمهم أمر بالغ الاهمية لتوسيع حرب الانصار ٠ ويرتبط النهوض الثورى على نطاق البلاد ارتباطا وثيقا بتنشيط جماهير الريف لأعمال سياسية أكثر فعالية ٠ وقد زادت أهمية ذلك بعد عجلة فورستر المحمومة فى تنفيذ سياسة البانتوستان العنصرية ٠

وتبحث الدوائر الحاكمة فى جنوب أفريقيا بشكل متزايد ـ بتحريض من الامبريالية العالمية ـ عن طرق أخرى غير القوة الوحشية والارهاب السـافر للابقاء على هياكل العنصرية والرأسمالية الاحتكارية الاساسية ٠ ويتطلب هذا مساندة متعاونين سود ٠ كما يسعى العنصريون عن طريق سياسة البانتوستان الى خلق صفوة ادارية ورأسماليين صغار يطابقون بين مصالحهم ومصالح السادة البيض ، ولن ندخر جهدا فى تحطيم مخطط البانتوستان الرهيب ٠ وينبغى ألا نسمح بأى امكانية للاعتراف الدولى « باستقلال » ترانسكى وبوبوثاتسوانا ٠

ويبذل نظام الحكم العنصرى جهودا لابعاد الفئات الوسطى السوداء فى المدن عن حركة التحرر الوطنى ، ودفعها الى معارضة أهداف نضالنا الاجتماعية ٠ غير أن أهداف حركة التحرر الوطنى تمثل كذلك أمانى الفئات الوسطى السوداء التى تعانى نفس شكل القهر القومى الذى يعانى منه غيرها ، والتى يخنق الفصل العنصرى ابداعها ومبادرتها ٠ وينبغى أن نذكر أن كثيرا من المجموعات التجارية والمهنية قد وقفت الى جانب الشباب والعمال فى أحداث سويتو ٠

ومن جوانب عملنا الحاسمة أن نكون وحـدة أوثق بين السـود المقهورين الافريقيين والملونين والهنود ٠ فقد قدم نظام الحكم العنصرى ، الذى يستخدم سياسة فرق تسد ، بضع تنازلات أساسا للبرجوازية الصغيرة الهندية والملونة ٠ غير أن معارضة هذه السياسة ومعارضة مجلس هنود جنوب افريقيا والمجلس

النيابى للملونين الذين خلقتهما الحكومة تتزايد • وينبغى مضاعفتها ، فمصالح الهنود والملونين ترتبط ارتباطا لاينفصم بمصالح الشعب الافريقى • وبلادنا تحتاج الى الجبهة الموحدة لكل المقهورين أكثر من أى وقت مضى ونحن ندخل المرحلة الحاسمة فى النضال من أجل تصفية قلعة العنصرية والاستعمار •

ولأداء هذه المهام لابد من تعزيز روابط العلاقات الرفاقية التى انصهرت بين المؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا فى لهيب المعركة • وليس للحزب مصالح عاجلة تختلف عن مصالح المؤتمر الوطنى الافريقى ، فكلا المنظمتين تعمل ما فى وسعها للاطاحة بنظام الحكم العنصرى ، واقامة حكومة ثورية تتخذ اجراءات فعالة ضد رأس المال الاحتكارى ، وتقوم بالتحويل الجذرى للبنى والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية •

وتثير الحملة العالمية الواسعة الحالية لعزل جنوب افريقيا العنصرية فى كافة المجالات احساسا عميقا بالعرفان لدى كل الثوريين والوطنيين فى بلادنا • فحتى أصدقاء نظام الفصل العنصرى يجدون من الصعب عليهم أن يدافعوا عنه علنا • ونحن نرحب بقرار الامم المتحدة باعتبار عام ١٩٧٨ عاما عالميا لمناهضة الفصل العنصرى ، وندعو كل القوى المحبة للسلام والمعادية للعنصرية الى أن توفر له النجاح • وينبغى استخدام الحملة خلال هذا العام ـ الى جانب الجهود لمقاطعة جنوب افريقيا العنصرية ـ لضمان أقصى مساندة للمؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا ، وفضح محور تل أبيب ـ بريتوريا العنصرى المتسع ، ومؤامرة بون ـ باريس ـ بريتوريا النووية ، ومحاولات توطين بيض من روديسيا وجنوب افريقيا فى بوليفيا ، والمطالبة بالافراج عن كل السجناء السياسيين والذين يعانون فى سجون فورستر وغرف تعذيبه •

ونحن شيوعيى جنوب افريقيا نعبر عن تقديرنا الحار لرفاقنا فى السلاح فى الحركة الشيوعية العالمية ، وفى الاسرة الاشتراكية ، وللتأييد الذى تقدمه لنا بلدان عدم الانحياز ، والدوائر الديموقراطية الواسعة ، ومختلف المجموعات المناهضة للفصل العنصرى فى البلدان الرأسمالية ، التى بذلت الكثير للدعاية لنضالنا ومساندته •

ويتضح بصورة تتزايد باضطراد أن الدماء التى بذلها شعبنا ، والتعذيب غير الانسانى الذى تعرض له وطنيونا ، والسجن الذى يعانى منه أبطالنا ، لم تذهب كلها عبثا • فسيعقبها انتصار حركة التحرر الوطنى تماما كما يعقب الربيع الشتاء •

●

التكوين الفكرى للطبقة العاملة فى اليونان

بقلم : أنطونيس امباتيلوس

ظل حزبنا طيلة السنوات الثلاث والنصف الماضية ، منذ أن أصبح قانونيا ، يعمل لتنشيط النضال لكسب أغلبية الشعب اليونانى ، وبخاصة الطبقة العاملة لجانبه ، ولتحقيق تحولات اجتماعية جذرية فى بلادنا . وقد احــرز الحــزب الشيوعى العديد من النجاحات فى مجرى هذا النضال ، بيد ان نشاطه كشف كذلك عن عدد من النواقص .

وتجلت هاتان السمتان بوضوح خلال الانتخابات البرلمانية الاخيرة فى خريف العام الماضى عندما حقق الحزب الشيوعى انتصارا سياسيا بحصوله على ما يقرب من نصــف مليــون صوت (١٠٪ من مجموع الاصوات) بالمقارنة مع ربع مليون فى عام ١٩٧٤ ، وفاز بما يزيد على ضعف مقاعده السابقة فى البرلمان ((٥ فى الماضى و ١١ الآن)) . وكان هذا الانتصار هاما بشكل خاص فى مقابل الهزيمة السياسية الشاملة التى تكبدها الحزب التحريفى الذى حصل على مقعد واحد فحسب .

بيد أن الانتخابات اظهرت أيضا ان اغلبية الطبقة العـاملة فى اليـونان ما تزال تصوت للاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وذلك على الرغم من حركة الاضرابات المتنامية • وتجدر الاشارة الى أن عدد العمال المأجورين الذين شاركوا فى الاضرابات ـ على الاقل مرة واحدة باستثناء أول مايو ـ كان اكثر من ٥ر١ مليون فى عام ١٩٧٧ • ويعنى هذا ان حوالى مليون منهم (أو ما يزيد على ذلك فى الواقع لان بعضا من النصف مليون الذين صوتوا للشيوعيين ليسوا من الطبقة العاملة) صوتوا فى الانتخابات دون اكتراث بمصالحهم السياسية الموضوعية •

وليست نتائج الانتخابات بالطبع سوى مؤشر جـزئى ، وهى لا تعكس بصورة تامة رغبة الجماهير العاملة فى تحولات جذرية عميقة • ومع ذلـك تبقى الحقيقة قائمة ، وهى أنه رغم أن أغلبيـــة الطبقة العـاملة تؤيد أهداف وتكتيكات الشيوعيين المحددة خلال المعارك اليومية على الدوام ، فانهـــا لم تقتنع حتى الآن بضرورة أو امكانية تحقيق التحولات الجذرية التى حددها الحزب الشيوعى اليونانى بوصفها أحد أهدافه البرنامجية •

وبالتالى ينبغى لنا مواجهة القضية العامة للطبقة العاملة ، أو جزء منها على أية حال ، تلك القضية الماثلة فى انها لا تتبع الشيوعيين الذين يعبرون عن أيديولوجية البروليتاريا بل تتبع اعداءها السياسيين • وهذا يعنى أن حجج الشيوعيين لا تحظى دائما بالاستجابة المطلوبة بين الجماهير •

لماذا ؟ تكمن الاجابة (حسب الظروف الملموسة فى كل بلد) فى مجموعة معقدة من الاسباب والظروف ، الذاتيـــة والموضـــوعية ، بما فى ذلك بعض الاسباب والظروف التى تكمن جذورها فى تاريخ البلاد والطرق والسمات الخاصة لتطور حركة الطبقة العاملة فيها •

واذا ما أخذنا نتائج الانتخابات فى اليونان على سبيل المثال فاننا يجب أن نأخذ فى الاعتبار الحقيقة الماثلة فى ان الحزب منذ خروجه فى ظـــروف السرية لم يكن لدية وقت بما فيه الكفاية للعمل بشكل متواصل بين الجماهير العاملة لكسبها الى جانبه •

يضاف الى تلك أنه فى اليونان وربما فى أى بلد رأسمالى آخر ، لايمكن للانسان أن يتجاهل عوامل مثل عدم المساواة بين الشيوعيين والقـــوى التقدمية بوجه عام من جهة ، والطبقات الحاكمة من جهة أخرى فى وسائل التأثير الايديولوجى على الجماهير •

فامكانية تأثير الشيوعيين على فئات واسعة من السكان (لا سيما الفئات

غير البروليتارية » في الظروف الحالية أضعف بكثير من امكانية أعدائهم الايديولوجيين من حيث الكمية .

اذ ان هؤلاء ـ كما سأوضح فيما يلي ـ يسيطرون على انظمة جبارة لوسائل الاعلام ، الحكومية والخاصة ، لممارسة أشد الضغوط الايديولوجية .

والهوة القائمة بين مستوى عمل طبقتنا العاملة السياسى ومشاركتها المحدودة في النشاط النقابى طيلة تاريخها أمر يرتدى أهمية بالقدر نفسه. فيكفى أن نقول أن نسبة الجماهير العاملة المنظمة فى النقابات هى حوالى ٢٠٪ .

ولكن مع الاعتراف بأهمية جميع هذه العوامل الموضوعية والذاتية ، ما من تحليل ماركسى يكتفى بمثل هذه البيانات . فلابد من مواصلة التحليل بعمق لاظهار السمات المميزة لوعى جماهير الكادحين بوصفه واقعا موضوعيا يمثل فى كل لحظة معينة نتاج عوامل متعددة نموذجية بالنسبة للمجتمع الرأسمالى الحالى . وبعبارة اخرى فان هدف تحليلنا يجب ان يتمثل فى تحديد تلك السمات الخاصة التى تكمن الايديولوجية البرجوازية من تضليل الجماهير أو ـ على العكس من ذلك وتمكن أيديولوجيتنا الثورية من الانتصار .

واحدى أهم القضايا واكثرها حدة فى هذا الصدد هى قضية الوعى الطبقى للبروليتاريا بالذات ، والاشكال التى يتخذها فى المجتمع الرأسمالى الحالى ، والحدود التى يعمل فيها ، وعلاقاته مع انواع الوعى الاجتماعى الاخرى وهكذا دواليك .

ان الوعى الطبقى للطبقة العاملة (أو أية طبقة اخرى) يمثل ـ بالمعنى الفلسفى العام ـ جملة الافكار والآراء والمفاهيم والقيم والاحاسيس اللازمة للطبقة بوصفها كينونة اجتماعية محددة والتى تعكس الوضع والتجربة والمصالح والسمات الاخرى للطبقة وتختلف عن آراءومفاهيم طبقات المجتمع الاخرى ، وبالتالى تجد تعبيرا عنها فى اشكال محددة للسلوك الطبقى (النشاط الطبقى) .

ويمكن تحديد عدد كبير من العناصر المختلفة فى بنية الوعى الطبقى . وتتمثل هذه فى المعرفة والمفاهيم (بما فى ذلك المفاهيم حول المستقبل والمثل) والآراء والقيم والمعايير و « الصور » والانماط والعواطف والامزجة وهكذا دواليك . وتقع بعض هذه الاشياء ضمن عناصر الوعى الرشيدة والمنطقية المرتبطة بالدرجة الاولى أو حتى بصورة كلية بعمل الذهن ، بينما يقع البعض الآخر ضمن عناصر الوعى الحسية والسيكولوجية . وهناك مجموعة ثالثة ترتبط بمجال الفكر والعقلية فى آن واحد .

وهذا فى حد ذاته يثير مسألة مستويات الوعى الطبقى . ويظهر التاريخ ان وعى مختلف الكينونات الاجتماعية (الطبقات والفئات) فى الوقت نفسه شأنه شأن وعى الكينونة الاجتماعية نفسها فى فترات تاريخية مختلفة من تطورها يمكن أن يتميز بمجموعات مختلفة من العوامل المذكورة أعلاه .. وهكذا يمكن فى حالات مختلفة أن تسود فى وعى الطبقة العاملة الطبقى أما العناصر الرشيدة أو العاطفية • كما يمكن فى اطار اشكال منطقية بحته أن يتفتح هذا الوعى على مستوى ما يعرف بالوعى اليومى (الذى يتطابق بالدرجة الاولى ـ كما قال ـ ماركس ـ مع أشكال انعكاس الوجود العملية المباشرة) أو على مستوى الوعى النظرى « العلم والايديولوجية » وهكذا دواليك .

ومن الواضح أن عملية تكوين وعى طبقى متطور فى الطبقة العاملة ليتمشى مع أعلى مستوى لتطورها هى من مهام الحزب الشيوعى الهامة • ومثل هذا الوعى الذى يميز تحول البروليتاريا من طبقة « فى ذاتها » الى طبقة من أجل ذاتها « يعنى أن جماهير واسعة من الطبقة العاملة وأغلبيـــة الطبقة تدرك وضعها وظروف وجودها فى المجتمع الرأسمالى وعلاقتها بالطبقات والفئات الاخرى فى المجتمع وكذلك بالدولة الراسمالية وهكذا . دواليك ، وبالتالى تدرك دورها فى التطور التاريخى للمجتمع ورســـالتها الاســـتراتيجية الاساسية فى التصفية الثورية للنظام الرأسمالى القائم .

وتعلمنا التجربة التاريخية أن الطبقة العاملة ليست قادرة باعتمـــاد على نفســـها أن تكتسب ســـوى الاشـــكال الجنينيـــة من الوعى الطبقى (التى تتطور داخلها) ، وان الوعى الطبقى المتطور « يأتيها من الخـــارج » ، من العلم عن طريق تطوير الايديولوجية الماركسية ـ اللينينية الثورية ، والدمج بين هذه الايديولوجية وحركة الطبقة العاملة المتطورة عضويا وتجـــربة نضـال جماهير الكادحين نفسها •

وعلى الرغم من أن وعى البروليتاريا الطبقى يمثل ولا ريب تشكيلة متكاملة تميز الطبقة العاملة عن طبقات المجتمع الاخرى ، فأنه يتميز فى أية لحظـــة معينة من وجوده التاريخى بهذا القدر أو ذاك من عدم التجانس • ويتمثـــل الامر بالدرجة الاولى فى مضمون الوعى الطبقى فى الاختلافات فى المعـــرفة والمفاهيم والعواطف المشتركة بين مختلف فئات الطبقـــة . ولـــكن لعـــدم التجانس هذا طبيعة أعمق اذ يؤثر على مستويات وجـــود الوعى الطبقى ، ونتيجة لذلك يمكن أن يدرك جزء من الطبقة وضع الطبقـــة فى المجتمـــع ومصالحها واهدافها ومهامها فى النضال وما الى ذلك على مســـتوى الوعى الشيوعى فيما يدرك جزء آخر هـــذه العوامل فى شـــكل آراء نظرية وحقائق علمية •

هل يمكن تخيل الوضع الذى تظهر فيه جميع فصائل الطبقـــة العـــاملة

(المهنية أو الاقليمية أو العمرانية والخ ٠٠) ناهيك عن جميع أعضاء الطبقة وحدة مطلقة فى المواقف حول جميع القضايا ، وعيا طبقيا متماسكا ؟ ان هذا ليس سوى تجريد على الارجح لانه حتى فى اكثر اللحظات اشراقا فى حياة البروليتاريا ، فى فترة معاركها الطبقيه العظيمة وعملها الثورى ، عندما يكون لفهم المصالح الطبقية والتضامن الطبقى قيمتها ومنتشرين الى أقصى درجة ــ حتى فى مثل هذه اللحظات كما نعلم جميعا ــ يظل هناك تمايز بين القسم المتخلف من البروليتاريا والقسم المتقدم ، بين الجماهير والطليعة بين الطبقة ومفكرى الطبقة .

وهذا امر طبيعى تماما ٠ والموضوعية المتعلقة بعدم تجانس الوعى الطبقي (فى أية لحظة من لحظات وجوده) تنشأ بشكل مباشر من موضوعية أخرى بها ونعنى بها أن الوعى الطبقى عامل تاريخى ٠

ان الطبقة العاملة لا تظهر جاهزة فى أى بلد من البلدان كما ظهرت أثينا من رأس زيوس ٠ فهى فى كل بلد تشق طريقا طويلا ومعقدا فى تطورها سوية مع شعبها وطبقات المجتمع الاخرى ، وتاريخها جزء من التاريخ الاوسع لتطور المجتمع الاقتصادى والاجتماعى ٠ وهى تقوم بتطوير وعيها الطبقى كطبقة بكاملها عبر هذا الطريق ٠ ونحن نجد فى كتابات لينين بعض أمثلة التحليل الفذ لاصول وعى الطبقة العاملة فى روسيا من « احساس غامض بالكراهية نحو المستغلين الى تطور احساس بالوحدة ، احساس بالتضامن أولا بين عمال منطقة معينة ثم بين عمال البلاد بأسرها ، بين الطبقة العاملة بكاملها » « المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، ص ١١٣ ــ ١١٤ » ٠

وقد تطورت البروليتاريا ووعيها الطبقى بصورة مماثلة فى بلدان اخرى من بينها اليونان ٠

تشكلت طبقتنا العاملة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ونمت نموا سريعا بشكل خاص بعد تحرير المناطق اليونانية وكارثة آسيا الصغرى (١٩٢٢) على اساس « جيش احتياطى » واسع من اللاجئين فى ذلك الوقت ٠ ويظهر انها كانت تنمو أسرع مما كان ينمو السكان ككل ٠ واستمر وضع مماثل ، ولو بوتيرة بطيئة نسبيا فى الفترة التالية عندما انتقل الاقتصاد الوطنى من التطور الافقى الى التطور الكثيف . وكانت نسبة الطبقة العاملة فى اليونان قبل الحرب ١٥٪ فقط من السكان النشيطين اقتصاديا ولكن ارتفعت نسبتها فى بداية ١٩٧٨ الى ٤٦ر٢٪ بينما يبلغ عدد البروليتاريا الصناعية وحدها (٥٥٠ر٠٠٠) وفى العقد الماضى اتسعت نواة الطبقة العاملة بشكل ملحوظ فبين الـ (٥٣٢ر٠٠٠) شخص الذين يعملون فى الصناعة واسعة النطاق والانتاج الحرفى الصغير يعمل الآن « ٣٥٠ر٠٠٠ » فى المصانع ، بما فى ذلك (٢٠٠ر٠٠٠) فى مؤسسات يعمل فيها ما يزيد على مائة عامل .

وفى الوقت نفسه فان طبقتنا العاملة تشكلت تاريخيا فى صناعة المنتجات الزراعية « المواد الغذائية والتبغ » بدرجة رئيسية ، واستخراج بعض المعادن وصناعة البضائع المعدنية الخفيفه ونتيجة لذلك ما يزال جزء كبير منها يعمل فى الانتاج الصغير ويلتقى مع الفئات الصغيرة للطبقه ، التى ليست على صلة فيما بينها • ومن الواضح ان خصائص البروليتاريا اليونانية ذات الجذور التاريخية توضح الكثير حول حالة وعيها الطبقى ووعيها الذاتى • وبالنظر الى قضية عدم تجانس الوعى الطبقى للمرء أن يأخذ فى الاعتبار أن الطبقة العاملة الحديثة « مثل القديمة » كل معقد وجسم حى لا يتغير على المستوى التاريخى عبر عشرات السنين فحسب ، بل فى كل لحظة معينة من وجودها فهى تتغير أولا من حيث تركيبها باستيعابها لفصائل جديدة من صفوف الطبقة العاملة نفسها جزئيا (اطفال اسر الطبقة العاملة) ومن فئات السكان الآخرى كذلك ، ولا سيما من الفلاحين الذين ينزحون الى المدن ، والفئات الوسطى المدنية وهكذا دواليك •

ومن الواضح تماما ان جميع هؤلاء الناس لا يرتفعون الى مستويات الوعى الطبقى البرونيتارى عندما يصبحون جزءا من البروليتاريا •

وبالطبع ، يسعى الحزب والفصائل المتقدمة من الطبقه العاملة الى الاسراع بهذه العملية خلال العمل التثقيفى والتنظيمى والدعائى • ونتيجة لذلك فان بعض اعضاء البروليتاريا الجدد يكونون اسرع من الطبقة بكاملها فى استيعاب افكار الطبقة وقيمها التقدمية ، ويصبحون واعين لوضعها فى المجتمع الرأسمالى ولمهام واهداف واشكال نضالها • ولكن من المعروف ان مثل هذا النشاط الحزبى لا يسفر دائما عن النتائج المطلوبة ، وحتى فى حالة النجاح فان تحقيق هذه النتائج يقتضى بعض الوقت ، بل ويقتضى وقتا طويلا بالنسبة لبعض فئات السكان • ولذا فأننا فى كل لحظة معينة نجد فى وعى الطبقة « قطاعات » فى مختلف مراحل تطور الوعى الطبقى بكامله •

ويرى بسهولة ان عدم التجانس هذا فى وعى البروليتاريا الطبقى يعتمد بالدرجة الاولى على عدم تجانس مصادر تشكله المنعكس فى بنية الطبقة العاملة المعقدة لقد كتب لينين قائلا « ان الرأسمالية لن تكون رأسمالية لو لم تكن البروليتاريا فى حد ذاتها محاطة بعدد كبير من الانواع الوسيطة المتنافرة للغاية بين البروليتاريا ، وشبه البروليتاريا ، والفلاح الصغير (والحرفى الصغير وصاحب الحرفة اليدوية والماهر الصغير بوجه عام) ، وبين الفلاح الصغير والفلاح المتوسط وهكذا دواليك ، ولو لم تكن البروليتاريا نفسها مقسمة الى فئات اكثر تطورا واقل تطورا ، ولو لم تكن مقسمة وفقا للطائفة والمهنة والدين احيانا وهكذا دواليك » (المجلد ٣١ ، ص ٧٤) •

وهذا صحيح فى يومنا هذا كذلك • وفى الواقع انه اكثر صحة اليوم ،

وذلك ـ فى اعتقادنا ـ ليس بالنسبة للبلدان التى تحررت مؤخرا من الاضطهاد الاستعمارى وانتهجت طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى المستقل (حيث يكون التركيب الاجتماعى للبروليتاريا الناشئة متفاوتا بشكل خاص) فحسب ، بل وبالنسبة للبلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث تتشكل الطبقة العاملة خلال عمليات عاصفة الى اقصى درجة ، ليس فقط من «اسفل» من الفئات شبه البروليتارية والبرجوازية الصغيرة (الفلاحية) • بل أيضا من « الجانب » وحتى من « القمة » ـ من الفئات الوسطى و الموظفين والمثقفين •

وفى اليونان مثلا تتسع الطبقة العاملة من فقراء ومتوسطى الفلاحين فى شكلين : مباشر وغير مباشر • ففى الشكل الاول تشمل هذه العملية هجرة داخلية لينزح خلالها ما يزيد على ٧٦٪ من المهاجرين (الذين لا يرجع اصلهم الى الطبقة العاملة) من الريف الى المدينة ويدخلون فى صفوف الطبقة العاملة وهؤلاء الاشخاص يؤلفون الآن جزءا كبيرا ـ يزيد على ١٠٪ من هذه الطبقة • وفى الشكل الثانى يجرى تحويل هذه الفئات من الفلاحين الى عمال كسبة الاجور « سواء بصورة دائمة أو موسمية » مع تشكل المناطق الصناعية فى المحافظات ، ولكنهم يبقون أيضا مالكين لقطع صغيرة من الارض (مزارع) ، الامر الذى يعنى أن تحويلهم الى اعضاء فى الطبقة العاملة غير كامل موضوعيا •

وبديهى أن لهذا الامر اثرا ملحوظا على مستوى الوعى بين مثل هؤلاء الناس • فبدلا من اتخاذ الموقف « المزدوج » المعادى للرأسمالية مع العامل المستغل والفلاح المضطهد فانهم بوصفهم حملة لايديولوجية الملكية الصغيرة يجنحون الى الحفاظ على وعى طبقى غير متطور لوقت طويل ويبقون حبيسى الافكار المزيفة التى تولدها ظروف الحياة فى المجتمع الرأسمالى وتنشرها الدعاية البرجوازية • ووهمهم الرئيسى الذى ظل الحزب يناضل بشكل متواصل هو انهم يستطيعون ان يعرضوا على نقص دخولهم من بيع المنتجات الزراعية بالاجور ، أو وبالعكس ، ان يعوضوا عن نقص الاجور بالدخول من قطعة الارض • مثل هذه الاوهام يبددها الواقع الرأسمالى لان اسعار المنتجات الزراعية كثيرا ما يكون أقل من الاجور (وبالتالى فان جزءا من الاجور الذى يتم الحصول عليها عن طريق بيع قوة العمل يذهب لتغطية الفرق بين تكاليف الانتاج والدخول من بيع المنتجات) • ولكن يتضح ان هذه الاوهام مسيطرة للغاية ، وتبقى عالقة باذهان صغار المالكين لوقت طويل •

ويتعين على حزبنا أن يعالج قضايا من نوع مختلف عند تحليل تشكل الطبقة العاملة فى ارتباط بتأثيرات الثورة العلمية والتكنولوجية وتغلغل العلاقات الرأسمالية فى صناعات الخدمات • واحدى هذه القضايا حالة الوعى بين الفصائل البروليتارية الجديدة التى ما تزال صغيرة ولكنها تنمو بشكل متواصل ، والتى تتألف من المثقفين فى مجال العلم والتكنولوجيا

الذين يقومون بعمل ذى طابع خاص (ذهنى بدرجة رئيسية) ويعملون فى ظروف نشاط خاص وهكذا دواليك • وتشير معلوماتنا الى ان هذه الفئات من العمال المأجورين تؤلف الآن حوالى ٧٪ من الطبقة العاملة ، ونتيجة لاصولها (البرجوازية الصغيرة بالدرجة الاولى) ووصعها الخاص ضمن بنية الانتاج الاجتماعى والخدمات الاجتماعية كثيرا ما تتأثر بآراء غريبة على ايديولوجية البروليتاريا • ومن السمات المميزة لها أنه أما أن تعبر عن راديكاليه متعصبه واما تبتنى مختلف النظريات الاصلاحية حول « اختفاء » الطبقة العاملة غياب الفروق الجوهرية بين النظامين الاجتماعيين ـ السياسيين المتنافسين فى العالم الحديث و « التقارب » بين هذين النظامين وهكذا دواليك •

وبالطبع فان هذه الفصائل الجديدة من الطبقة العاملة (والفصائل الاخرى التى لم أذكرها هنا) لا توجد فى أى شكل « بحت » • ولكن هذه النظرية النابعة من اعتبارات منهاجية تمكننا من ان نفهم بصورة أفضل فعل العوامل التى تؤدى موضوعيا الى التمايز فى وعى الطبقة وان نفهم القانون الهام الذى يجرى بموجبه بصورة حتمية « تآكل » وتشوية كل مستوى من مستويات الطبقة العاملة بفصائل جديدة •

ان « المجال » التالى لتحليل عدم تجانس الوعى الطبقى للطبقة العاملة يتجاوز اطار الطبيعة الاصلية للوعى القائم التى ترتبط ببنية الطبقة وأساليب ومصادرة ووتيرة تشكلها وهكذا دواليك • ومن المعروف على اية حال انه حتى ممثلى الطبقة الذين ينتمون الى « كادرها » ، يمكن أن يظهروا اختلافات كبيرة فى مواقفهم وآرائهم وسلوكهم وهذا عامل حقيقى فى نشاط الشيوعيون العملى ، ترافقه قضايا حادة مثل التوجه الاشتراكى ـ الديمقراطى الانتهازى اليمينى « غير الشيوعى ، بل والمعادى للشيوعية فى كثير من الاحيان » لدى قسم من البروليتاريا نفسها كما « قال لينين » ، أو ارتباط بعض « فئات » هذه البروليتاريا بقوى وأنظمة حكم رجعية بصورة فاضحة وهكذا دواليك • وفى هذه النقطة من تحليلنا نصل الى المفهوم النظرى الهام بأن الوعى الطبقى (لهذه الطبقة أو تلك) لا يوجد فى المجتمع بمعزل عن أشكال الوعى الاجتماعى الاخرى أو بشكل موازى لها ، بل يرتبط بآلاف الخيوط ، ونعنى ، أن **الوعى الطبقى** للبروليتاريا (كما هو الحال بالنسبة لاى طبقة من طبقات المجتمع الاخرى) لا يتوافق مع **الوعى الواقعى** الاوسع الذى تكون الطبقة العاملة (أو ، أى طبقة أخرى ، حسب الحالة المذكورة) وسليته فى كل لحظة معينة من تطورها وفى الواقع أن لهذا المفهوم جانبين • قد يبدو أحدهما بديهيا (رغم انه يغيب عنا أحيانا فى تكوين وعى البروليتاريا الطبقى وتربية الجماهير ثوريا) •

وهو أن الافراد والعمال وممثلى الطبقة البروليتارية الذين يؤلفون تلك الطبقة (الاجزاء التى تؤلف الكل) ينتمون فى **آن واحد الى كينونات اجتماعية**

أخرى واسعة الى هذا الحد أو ذاك ديموجرافية ومنطقية وعرقية وأمم ، ومجموعات متجاورة الخ ٠

وهكذا فان ٣٦ ٪ من الطبقة العاملة فى اليونان اليوم تتألف من النساء ، و٢٣ ٪ من الشباب ٠ وكلاهما من فئات السكان المميزة ذات القضايا المميزة والعقلية المميزة والمواقف المميزة من أهداف وأشكال الصراع الطبقى ٠ ويشكل المهاجرون من بعض البلدان الآسيوية والافريقية ٣٪ من طبقتنا العاملة والجزء الآخر من ممثلى الاقليات القومية ٠ وبالطبع فان لهذه الفئات من الطبقة العاملة سمات أكثر خصوصية من حيث ظروفها الموضوعية ووعيها ٠

ومن الواضح أن العمال بوصفهم أعضاء الطبقة هم خالقو الوعى المميز لتلك الطبقة ووسائله ، ذلك الوعى الذى ينسجم مع وضع البروليتاريا فى المجتمع ويعكس مصالحها ويختلف عن وعى الطبقات الاخرى وهكذا دواليك ٠ وهؤلاء العمال أنفسهم ــ بوصفهم أعضاء فى كينونات أخرى ــ يشاركون فى خلق ونشر عناصر الوعى والمختلفة والمميزة عن العناصر الطبقية ، وذلك بجانب أعضاء طبقات وفئات السكان الاخرى داخل الكينونة ٠ وفى المجتمع ــ فضلا عن كل شيء آخر ــ يوجد أيضا وعى « انسانى عام » مطابق لبعض المفهومات الاخلاقية بوجه عام والحقائق « الخالدة » وقيم الثقافة العالمية (العلم والفن) ، وما يدعى بالوعى التاريخى الذى يعبر عن مواقف الناس ازاء ماضى بلادهم ومستقبلها ٠ وهناك أيضا أشكال عادية لاستيعاب التحولات على مستوى الوعى اليومى ٠ وثمة كذلك الوعى التقليدى الذى يتخذ شكل العادات الوطنية والعرقية وغيرها من العادات والافضليات والثغرات ونماذج المواقف من الواقع ، والوعى المميز لمختلف الاعمار (مثل وعى « الشباب » الذى ظهر بقوة فى بعض البلدان الرأسمالية فى العامين الخالدين ١٩٦٨ و ١٩٦٩) وهكذا دواليك ٠

والجانب الآخر من هذه الظاهرة ــ عدم التوافق بين الوعى الطبقى والوعى الواقعى للطبقة ــ هو أكثر تعقيدا ٠ وهو يتمثل باختصار فى أمنه فى المجتمع الرأسمالى الحالى الذى تسوده عمليات واسعة النطاق ، لا تمتد هذه العمليات الى مجال العمل والاستهلاك والترفيه والعلاقات الانسانية فحسب ، بل والى مجال الوعى الاجتماعى أيضا ٠

وهذا يعنى أن العمال الذين يمثلون الطبقة البروليتارية ، شأنهم شأن ممثلى جميع طبقات وفئات المجتمع الاخرى ، هم فى ظروف الرأسمالية الحالية أيضا أعضاء **فى مجموعات** مستقرة **من أعضاء المجتمع** مثل مستهلكى بضاعة معينة وقراء صحيفة معينة وهواة رياضة معينة ومعجبة بنجم سينمائى معين وهكذا دواليك ٠

وظهور مثل هذه المجموعات فى مجال الوعى الاجتماعى ترافقه ظواهر واسعة الانتشار مثل نقل نمط من التفكير وخلق ولع عام بشخص معين أو شيء

أو رمز معين ، وقبول جماهير واسعة من السكان لصيغ لفـوية باهرة في الظاهر ولكنها فقيرة للغاية في الواقع ، تصبح أنماطا مكررة في الوعي وهكذا دواليك .

وجميع أنواع الميكانيزم هذه تفرض « بالطبع على الاشكال العادية التي يعمل فيها وعي الجماهير اليومي الى درجة أن مختلف « التركيبات » اللفظيـة تصبح بديهيات مسلم بها بعد ترديدها ملايين المرات . والاهمية الخاصة لمثـل هذه البديهيات هي انها بغض النظر عن تجربة الفـــرد الشخصية لا يجرى استيعابها باعتبارها أصيلة و « شخصية » بصورة مطلقة فحسب ، بل وتقوم بتنظيم السلوك الانساني مؤثرة على اسلوب تلقي المعرفة الجديدة وعلى الممارسة اليومية المباشرة .

ومن الواضح أن هذا كله يزيد من عدم تجانس وعي البروليتاريا الواقعي ويجنح هذا في الوقت ذاته الى تعقيد عمل الحزب الشيوعي في تكوين الوعي الطبقي لدى الطبقة العاملة وفقا لايديولوجية الماركسية ــ اللينينية . وعندما يصوغ الشيوعيون ايديولوجية البروليتاريا العلمية ، وبخاصة عندما يدخلونها في أوساط العمال يتعين عليهم أن يأخذوا في الاعتبار وجود مثل هذه الانواع من الوعي الاجتماعي .

فتجاهل هذا الجانب من المسألة والفشل في مراعاة خصائص وعي العمال الواقعي وبالتالي « خفايا » الميكانيزم الذي يكون وعيهم الطبقي يمكن أن يضعفا فعالية تأثيرنا الايديولوجي على الجماهير ويؤديا الى فقداننا لفئات كبيرة أو صغيرة من الطبقة من زاوية تثقيفها الثوري ونشر ايديولوجيـة الشـــيوعية العلمية وسطها .

والقضايا المطروقة في هذه المقالة لا تحظى باهتمام الحزب الشـــيوعي اليوناني فحسب ، بل والبرجوازية اليونانية التي تدرك أن وجـــود مختلف الفصائل داخل الطبقة العاملة و « امتزاج » الطبقة العاملة (على مستوى الوعي) بمجموعات وفئات السكان الاخرى ، يؤديان الى هوة كبيرة بين الوعي الطبقي البروليتاري المتطور الذي يجرى التعبير عنه بشكل متواصل في ايديولوجية وسياسات حزب البروليتاريا الثوري ، والوعي الفعلي للعمال في البلاد في أية لحظة معينة . وبالتالي فانها تسعى الى توسيع هذه الهوة عن طريق ميكانيزم انتاج وتوزيع المعلومات والدعاية الكاملة ، عن طريق جهاز الدولة والكنيسة ونظام التعليم ونظام التربية الخ .

لقد أعطى ماركس تعبيرا موجزا على نحو رائع عـــن الطبيعة الاجتماعية لعدم مساواة مختلف الطبقات والفئات في المجتمع الرأسمالي من حيث امكاناتها لاستخدام الوسائل المتوفرة للتأثير الايديولوجي . فكتب في الايديولوجيـــة الالمانية قائلا : « ان الافراد الذين يؤلفون الطبقة الحاكمة يملكون الوعي فيما

يملكون ، ولذا يفكرون • ولذا ، بما انهم يحكمون كطبقة ويحددون مضمـــون حقبة معينة بكاملها فبديهى انهم يفعلون ذلك فى مداه الكامل ، ومن ثم يحكمون كمفكرين أيضا ، كمنتجين لافكار ، ويقومون بتنظيم انتـاج وتـــوزيع أفكار عصرهم • وهكذا فان أفكارهم هى الافكار السائدة فى تلك الحقبة (١) وعدم المساواة هذا أصبح فى يومنا أكثر وضوحا باعتبار أن البرجوازية تضع تحت تصرفها جميع التسهيلات التكنيكية الحديثة لممارسة تاثير هائل على الوعى الانسانى •

وطبيعى أن البرجوازية تستخدم جميع هذه الوسائل لنشر **أيدلوجيتها** الطبقية الامبريالية لكن نشاطها فى هذا المجال من مجالات الصراع الطبقى ليس مقصورا الآن على هذا الجهد ، بل يشمل **عدة جوانب أخرى** مرتبطة بابقاء الوعى الطبقى لدى الطبقة العاملة فى مستوى منخفض نسبيا من التطور وزيادة تجانســـه وتشويه هذا الوعى فى النهاية وتذويبه فى أنواع أخرى من الوعى الاجتماعى بما فى ذلك الانواع غير الطبيعية ، التى تميز المجتمع الرأسمالى الحالى •

والبرجوازية اليونانية ـ على الخط الاول لنشاطها ـ تسعى مثلا الى اقنـاع العمال بأن الرأسمالية كانت وستبقى نظامهم الوحيد • ولم تعد هذه الفكرة مقبولة بسهولة مثلما كانت فى الماضى ولذا يحاول مفكروا الطبقة الحاكمة تقوية حججهم وجعلها مقبولة للجماهير • ونتيجة لهذا الوضع ماعادوا ينكرون الآن أن للرأسمالية «بعض» السمات السلبية ، لكن هذا الاعتراف يستخدم بصورة واسعة لاثبات أن الدعاية البرجوازية « موضوعية » ، ويرافقه الزعم بأن جميع الانظمة الاجتماعية « الاخرى » (يعنون الاشتراكية) « أسوأ » •

ومساعى الرجعية اليونانية هذه تهدف الى تثبيط وتضليل الجماهير العاملة وحملها على التخلى عن النضال من أجل الاشتراكية وبالتالى اشاعة جو الترقب واللامبالاة • كما لاينسى الرجعيون أساليبهم القديمة المجربة ابتداء من تقـديم مختلف التنازلات للجماهير العاملة وانتهاء بالارهاب المكشوف •

وعلى الخط الثانى من النشـــاط الايدلوجى تســتفيد البرجوازية اليونانية استفادة واسعة من شتى الاشكال بما فى ذلك وضع بعض فئات الكادحين بصورة مصطنعة ضد البعض الآخر « مثل الفئات ذات الاجور العالية والفئات ذات الاجور المنخفضة » والتلاعب البارع بميكانيزم الوعى الجماهيرى •

وهكذا فان البرجوازية التى تستغل عناصر الوعى القومى التقليدى تسعى الى اقناع الكادحين بالفكرة القائلة بأن الاحتـكارين والعمـال ينتمون الى الامة نفسها ، ولذا لديهم « مصالح قومية مشـــتركة » • وبعد فشـــل شعار الزمرة العسكرية الفاشى : « اليونان للمسيحيين اليونانيين » حاول الرجعيون صرف أمزجة الشعب المضطهد الانفجارية الى قضــايا الهيبة الوطنية المرتبطة بحب الشعب لكرة القدم بيد أن هذه المحاولة الرامية الى افساد الوعى الطبقى باءت

---

(١) كارل ماركس و ف• بدريك انجلز :الايديولوجية الالمانيـة ـ موســـكو ١٩٦٨ ص ١٦ •

بالفشل لان البلاد حتى في مجال الرياضة لم تكن لديها البنية الاساسية اللازمة ، كما أن النجاحات المتفرقة لم تستطع أن تخفى عجز نظام الحكم فى هذا المجال كذلك • وتبذل جهود متعمدة فى آن واحد لتشويه وعى الكادحين التاريخى واعطاء الطبقة العاملة مفهوما أحادى الجانب حول الماضى وبالتالى حول الافق التاريخى كذلك • وهكذا ، بعد هزيمة الطبقة العاملة وحركتنا الشعبية بأسرها فى الحرب الاهلية فى أواخر الاربعينات حاولت البرجوازية نشر الانهزامية وسط الشعب وتصوير حزبنا « وغيره » على أنه حزب « أخطاء » وبالتالى اقناع الطبقة العاملة بأنها لن تلعب دورها التاريخى فى المستقبل وهكذا دواليك •

وفى هذا النضال ضد الوعى الطبقى والوعى الذاتى للبروليتاريا وجدت البرجوازية الرجعية حلفاء لها بين المحرفين والاصلاحيين من كل لون ، الذين يزورون الواقع بشكل مكشوف أو مستور معلنين أن وعى الطبقة العاملة قد « اختفى » تماما فى مواجهة أشكال الوعى الاجتماعى الجديدة مثل وعى الشباب ، وأن الاصلاحية والنقابية قد حققتا « انحطاطه » النوعى ، وأن المفاهيم العلمية التى صاغها ماركس أصبحت « بالية » على أية حال ويجب الاستعاضة عنها بمفاهيم أخرى وفقا لظروف المجتمع « الاستهلاكى » « الصناعى » و « مابعد الصناعى الجديد » ، الذى يزعم أنه متحرر من التناقضات الطبقية •

لقد ظل الحزب الشيوعى اليونانى يعمل على عدة خطوط رئيسية فى آن واحد لمقاومة جميع هذه الاتجاهات • وأحد هذه الخطوط يتمثل فى فضح جميع أفكار الايديولوجية البرجوازية والدعاية البرجوازية الهادفة الى الدفاع عن الامبريالية الحالية ونشر العداء للشيوعية وللسوفييت وكذلك تمزيق وحدة الطبقة العاملة وتشويه وعيها الطبقى ووعيها الذاتى •

والخط الثانى لهذا النضال موجه ضد التحريفية والاشتراكية البرجوازية الصغيرة والمغامرة اليسارية فى السياسة ، وتدعن معارضة ديماجوجية خدم أرباب العمل والاصلاحيين فى النشاط النقابى • ويرتبط هذا النضال بمهام اعادة بنية تنظيم الحركة النقابية فى البلاد وتأمين وحدتها • والخط الثالث هو قيام الحزب بنشر وشرح خطة السياسى بصورة واسعة كما هو محدد فى وثائق المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى اليونانى والعمل المتواصل بين الجماهير لشرح الاهداف الاستراتيجية والمهام التكتيكية فى النضال ضد الامبريالية والمساعى الايجابية لتكوين وعى طبقى متطور بين الطبقة العاملة •

والخط الرابع يتمثل فى الدراسة النظرية العميقة لقضايا تطور ونضال الطبقة العاملة وجماهير الكادحين فى ظروف بلادنا المحددة ، ولاسيما تحليل بنية ووضع ودور الطبقة العاملة داخل نظام الانتاج الاجتماعى فى اليونان ، وظروف عملها ومعيشتها وميكانيزم تكوين آرائها وهكذا دواليك •

ان قضايا الوعى الطبقى للبروليتاريا اليونانية أكثر تعقيدا بالطبع مما أوضحنا ولكن حتى هذه المقالة الاولية تظهر المهام النظرية والسياسية الهامة التى يجب أن يعالجها الشيوعيون فى مساعيهم لتكوين وعى الجماهير الثورى •

الموقف من العداء للشيوعية

علق قادة بارزون فى الحركة الشيوعية العالمية على القضيتين التاليتين تلبية لطلب مراسلينا :

١ ـ الخطوط والاساليب النموذجية للدعاية المعادية للشيوعية فى البلدان المختلفة •

٢ ـ الاساليب الاكثر فعالية فى مكافحة العداء للشيوعية والعداء للسوفييت اليوم •

يكون العداء للشيوعية أقل فعالية عندما يتوق الناس فى النضال من أجل تحسين حياتهم وفي سبيل السلم والديموقراطية • وبالنظر الى الحملة الشديدة المعادية للسوفييت ، التى تجرى الآن ، يرى حزبنا ان من الخطأ اتخاذ موقف دفاعي أو حتى توفيقى عند الهجوم على البلدان الاشتراكية • ونحن نروج انجازات الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ونتمسك بدأب بنضالها من اجل الانفراج والتعايش السلمى ، وذلك فى مصلحة الشعب الامريكي والتقدم الاجتماعي فى العالم كله • ونرى أن أحد مهام حزبنا هى ان ننشر فى بلدنا الحقيقة حول دورها الأممى • ومن الضرورى أن ندحض ونهزم كل كذبة معادية للشيوعية وللسوفييت ، قديمة كانت أم جديدة ، وكل افتراء معاد للشيوعية والسوفييت قديما كان أم جديدا •

لقد اكتسبت الحملة المعادية للشيوعية فى الاونه الاخيرة ظلالا جديدة وأدخلت عليها « تحسينات » • فبينما كان جميع الشيوعيين « أباسة » فى الماضى ، يوجد الآن شيوعيون « أخيار » أو « مقبولون » وشيوعيون « سيئون » أو « غير مقبولين » • والفرق الرئيسى بين (المقبولين) (وغير المقبولين) هو الموقف من الاتحاد السوفييتى • اذ أن « المقبولين » هم أولئك الشيوعيون الذين يبرؤون انفسهم من الاتحاد السوفييتى ويفترون عليه • والشيوعيون « غير المقبولين » وهم أولئك الذين يلتزمون بأممية الطبقة العاملة ويدافعون عن انجازات الاتحاد السوفييتى وبلدان الاسرة الاشتراكية الأخرى وسياستها السلمية •

ويستخدم العداء للشيوعية فى بلادنا كوسيلة لارهاب العمال واضعاف وحدتهم وروحهم النضالية ، وهناك ايضا خوف الانسان من أن يفقد عمله فبعض العمال ، الذين يخافون من ان يوصفوا بأنهم « حمر » ينكمشون من المشاركة فى النضال عندما يستدعى الامر ذلك ويبتعدون عن زملائهم العمال المناضلين وهكذا يستخدم العداء للشيوعية كوسيلة لتمزيق وحدة الكادحين وعرقلة نمو وعيهم الطبقى •

وبوجه عام لم يقبل شعبنا العداء للشيوعية كتبرير للمقامرة العسكرية فى الخارج مثل الحرب الوحشية ضد فيتنام أو التدخل ضد جمهورية الدومينيكان وهذا صحيح اليوم فى الوقت الذى تصبح فيه الظروف اكثر ملاءمة لعزلة العداء للشيوعية وهزيمته •

أولا ، ان الرأسمالية الحالية بأيديولوجيتها المعادية للشيوعية تقدم اجابات عن قضايا البطالة الواسعة والعنصرية واضطهاد الاقليات الصرفية والقومية وتقييد الحقوق الديمقراطية ونمو التضخم والضرائب وسرعة تكثيف العمل وتلوث البيئة والفساد وانهيار المدن وتدمير صغار الفلاحين والشركات الصغيرة وانحطاط القيم الثقافية والاجتماعية والمعنوية ويمكن فضح العداء للشيوعية بصورة اسهل واظهار الحقيقة حول الاشتراكية والشيوعية والاتحاد السوفييتى بمزيد من الفعالية • خلال النضال من أجل ألح حاجات الطبقة العاملة والسود والاقليات الاخرى التى تتعرض للاضطهاد والشبيبة وفقراء الفلاحين والفئات الوسطى •

ثانيا ، ان مثال الاشتراكية القائمة ــ ولا سيما فى الاتحاد السوفييتى ــ يوفر حجما لا يمكن دحضها تثبت تفوق الاشتراكية على الرأسمالية بخاصة فيما يتعلق بالقضايا المذكورة أعلاه ، وهذا المثال مهم للغاية كذلك لأن العديد من العمال فى الصناعة ــ وبشكل خاص فى الصناعات الاساسية ــ هم من اصل روسى وأوكرانى وبولندى والمانى وتشيكى وسلوفاكى وهكذا دواليك.

وفى النضال ضد العداء للشيوعية يقوم حزبنا ومختلف منظمات اليسار باصدار كتب ومنشـــورات وكتيبات ، وبتنظيم رحلات للمناقشة وعقـــد اجتماعات عامة في الاعياد والمناسبات المختلفة وبتشجيع وفـــود العمال الى البلدان الاشتراكية ودعوة وفود هذه البلدان ٠ وعنه نناضـــل ضد قوانين وتعلميات وزارة الخارجية التى تستبعد أو تقيد الصـــلات بين الامريكيين ومواطنى البلدان الاشتراكية منتهكة بذلك وثيقة هلسنكى الختامية ٠

ونفضح بشدة التعاون الطبقى الذى يدعو اليه جورج مينى والاشتراكيون الديموقراطيون اليمينيون ٠

● ●●

جاستون جينسيني

عضو لجنة الرقابة المركزية ورئيس القسم الايديولوجي
فى اللجنة المركزية للحـــزب الشيوعى الايطـــالى

أود عند الحديث عن الوضع فى ايطاليا أن الفت النظر بشكل خاص الى « المشكلة الشيوعية » وليس الى قضية العداء للشـــيوعية ٠ وما أعنيه هو أنه نتيجة للنضال السياسى النشيط لسنوات طويلة ونتيجة للتطور الدقيق لمواقف حزبنا البرنامجية والسياسية ، لم تعد قضية مشاركته فى القيـــادة الفعالة للبلاد أمرا تقدره الطبقة العاملة والعديد من المواطنين الآخرين فحسب، بل أصبحت أمرا يعتبر ملحا ٠

وبدأت القوى السياسية الاخرى لليسار الديموقراطى ، من الاشتراكيين الى الاشتراكيين الديموقراطيين والجمهوريين ، تدرك بصـــــورة متزايدة أن الشيوعيين يجب أن يشاركوا فى حكومة للاغلبية ، وقد أكدت هـــذه القوى موقفها هذا رسميا ٠ ان بدون مشاركة الحزب الشيوعى الايطالى لا يمكن حل قضايا ايطاليا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المعقـــدة ، ويعتـــرف المسيحيون الديموقراطيون ، ولو بتردد ومعارضة بالحاجة الى اتفـــاقية بين جميع القوى الديموقراطية بما فى ذلك الحزب الشيوعى الايطالى ٠

وهذا كله يدل على انتكاسة قوية بالنسبة للعداء للشـــيوعية ٠ كما أن الحقيقة الماثلة فى أننا حصلنا على ما يقرب من ٣٥٪ من الاصوات فى الانتخابات الاخيرة فى عام ١٩٧٦ تدل على أنه لم تعد هناك اغلبية برلمانية يلعب فيهـــا الحزب المسيحى الديموقراطى الدور الرئيسى ، وأن مرحلة سياسية جديدة قد بدأت فى تاريخنا الوطنى ٠ وهذا لا يعنى بالطبع أن العداء للشـــيوعية

قد هزم تماما • فالرجعية لا تقبل بوضع يلعب فيه الحزب الشيوعي الايطالي دورا هاما كهذا ، ولذا تشن هجوما علينا وعلى الحكم الديموقراطي بما في ذلك الهجوم باشكال اجرامية وارهابية • ويتصدى الحزب الشيوعي الايطالي لهذا التخريب بالمبادرات الجماهيرية لتوسيع وتعزيز العمل من أجل الوحدة ، الذي تقوم به جميع القوى الديموقراطية ، من الحزب الاشتراكي الى الحزب المسيحي الديموقراطي • ومن بين الامور التي جعلت من الممكن تطوير العلاقات في اتجاه الوحدة تعهد هذه القوى بشكل مستقل بالدفاع عن مؤسسات نظام الحكم الديموقراطي • ومما سبق ذكره يظهر أن النضال ضد العداء للشيوعية لا ينفصل عن النضال من اجل الديموقراطية ، ولذا يمكن أن يكون له قاعدة جماهيرية واسعة وأهمية سياسية استثنائية •

● ● ●

سيدو سيسوكو

السكرتير العام للجنة المركزية لحزب الاستقلال الافريقي السنغالي

لقد تراجع الآن العداء للشيوعية في السنغال أو أصبح اقل صراحة بين رجال الدين الذين كان هذا العداء بينهم أمرا تقليديا • ولكن الحكومة قامت بتصعيد دعايتها المعادية للشيوعية • وهذا يمثل انعكاسا لنشاط الامبريالية الايديولوجي المتنامي في افريقيا • ان السنغال ، بحكم موقعها الجغرافي والسياسي وتميز نظام حكمها للغرب ، اصبحت واحدا من المراكز الرئيسية لنشر الافكار المعادية للشيوعية في القارة • والعداء الرسمي للشيوعية يعزى بدرجة رئيسية الى الخوف من تأثير الاشتراكية العالمي المتنامي (الذي يجد تعبيرا عنه في افريقيا في تعزيز التحالف بين النظام الاشتراكي وحركة التحرر الوطني) والى الحقيقة الماثلة في أن الحزب الحاكم في السنغال انضم الى الاممية الاشتراكية (الامر الذي يحفز الاتجاهات الاشتراكية الاصلاحية في بلدنا ويدخل فيها استراتيجية الاشتراكيين الديموقراطيين الاوربيين) •

ويظهر العداء للشيوعية في السنغال بالدرجة الاولى في الحملة المعادية للسوفييت ولكوبا والضجة حول « التدخل الاجنبي » وفي محاولة السلطات الرامية الى تصوير حزبنا الملتزم بواجباته الاممية على أنه « عنصر دخيل على وطننا » ووصف المعارضة السياسية بأسرها وكل عمل اجتماعي حاد بأنهما شيء مستلهم أو موجه من الخارج • ومن الاشكال الخاصة للدعاية المعادية للشيوعية الانتقاد المتزايد للبلدان الافريقية ذات التوجه الاشتراكي • وبعضها مثل غينيا بيساو وانجولا ، يجرى التنديد بها بوصفها بلدانا تحكمها انظمة حكم شيوعية • وأحيانا تنتقد السلطات نوعية الاجهزة التي توفرها البلدان الاشتراكية وتلقي عليها اللوم عندما تفشل مؤسسة وطنية كما حدث في حالة شركة صيد الاسماك السنغالية المعروفة • وتفعل ذلك للحط من قيمة

المساعدات الاشتراكية وتبرير نداءاتها الكثيرة الى رأس المال الامبريالى طلبا للمساعدة . وينسجم مع الدعاية الرسمية بصــورة تامة عداء اليســاريين المتطرفين للسوفييت ومحاولات المرتد محمود ديوب الرامية الى عرقلة الصلات بين حزبنا والكادحين المتدينين بالتركيز على قضية الالحاد .

وتدافع الدعاية الرسمية عن مختلف المفاهيم البرجوازية الغربية الموجهة ضد الماركسية اللينينية وتحالف الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى . وتنكر نظرية وصراع الطبقات ، وتؤمن بنظرية تقسيم العالم الى « أمم غنية واخرى فقيرة » ، تلك النظرية التى تضع الاتحاد السوفييتى فى معارضــة أمم « العالم الثالث » المحرومة ، وكذلك نظرية « الدولتين الاعظم » التى تتجاهل التقسيم الطبقى الجوهرى فى السياسة الدولية المعاصرة ، ومفاهيم « الشيوعية القومية » و « الاشتراكية الديموقراطية » وتدافع عن مختلف الاتجاهات اليمينية فى الفكر الاجتماعى الافريقى فى السنغال تمثيـــلا نموذجيا . ان الدوائر الحكومية اذ تسير فى ذيل البلدان الرأسمالية الغربية التى تظهر بمظهر المدافع عن « تسوية أفريقية للقضــايا الافريقية » ، قد تبنت شعار « افريقيا للافريقيين » . وهى توجه هذا الشعار ضد الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وتساوى عمدا بين المســاعدات لحركة التحرر الوطنى والتدخل فى شئون بلداننا الذى تمارسه الدول الامبريالية فى الواقع . وتحاول الحكومة عن طريق العداء الشرير للشيوعية والسوفييت أن يمنع الشعب من ادراك الحاجة الملحة الى تحولات ديموقراطية فى السنغال وأن يجرف قوى المعارضة الوطنية عن المهمة الرئيسية المتمثلة فى تحقيق وحدة العمل فى السنغال من أجل هذه التحولات .

ويريد العداء للشيوعية أن يشوه الاهداف التحررية للاشتراكية ومكاسبها السياسية والاجتماعية . وهو يؤثر على مصالح جميع أطراف الحــركة الشيوعية العالمية . وسوف يتراجع العداء للشيوعية يأخذ فى الاعتبار اختلاف الاوضاع التى تعمل فيها الاحزاب الشيوعية ، ويصبح أكثر فعالية بفضل ذلك . ولكن اذا أريد له أن يكون مثابرا يجب أن يقاوم العــداء للسوفييت الذى تلجأ اليه الامبريالية فى النضال ضد الحركة الشيوعية وجميع القوى التقدمية المعادية للامبريالية .

ونحن نحبذ تعزيز الصلات والتعــاون بين المنظمات الجمـــاهيرية الديموقراطية فى السنغال والمنظمات المماثلة لها فى البلدان الاخـرى . والنضال من أجل وحدة الطبقة العاملة وتحالف جميع القوى الوطنية يساعد على ازالة تأثير العداء للشيوعية وللســوفييت على الكادحين . وعلى العكس من توقعات الدعاية الرسمية فان الكادحين يربطون بصورة متزايدة بين الدفاع عن مطالبهم الاقتصادية والنضال السياسى الذى تشنه القــوى التقدمية فى البلاد لانهاء الازمة وتحقيق تحولات ديموقراطية .

●●●

بيدرو أدريتيجا دياس

عضو المكتب السياسى للجنة المركزية
للحــــزب الشيوعى الفنـــزويلى

يوجد قادة نقابيون بين الذين يبذلون قصارى جهدهم لتصعيد الحملة المعادية للسوفييت والشيوعية فى فنزويلا . وقد تشكلت هذه المجموعة البيروقراطية حول الاتحاد النقابى الرئيسى ، وهى تشمل قادة نقابيين يمينيين ذوى ميول اشتراكية ديموقراطية ، وبعض هؤلاء القادة أعضاء فى حزب العمل الديموقراطى . ومعظمهم تلقى ثقافته فى الولايات المتحدة . أما فيما يتعلق بالقادة النقابيين المنتمين للحزب الاشتراكى المسيحى فان معظمهم تلقى تعليمه فى المانيا الغربية التى بنت الآن مدارس نقابية فى فنزويلا كذلك « يقوم بمهمة التدريس « خبراء » من ألمانيا الغربية » . وتحاول البيروقراطية فى النقابات توجيهها فى نهج معاد للشيوعية .

ويحظى العداء للشيوعية بتأييد بين بعض اليساريين التقدميين كذلك « أعنى اذا صحت هذه الصفة فى هذه الحالة ، لاننا لانعتبر حملة الاراء المعادية للشيوعية يساريين » . فالعديد من قادة المنظمة التى تسمى الحركة نحو الاشتراكية على سبيل المثال يتصرفون عمليا مثل المعادين للشيوعية . وتحت ستار الحديث القومى يدافعون عن نوع « قومى » من الاشتراكية « دون تقليد البلدان الاخرى » . ويدافع بعضهم بصراحة عن آراء معادية للسوفييت أو حتى معادية للاشتراكية . فيهاجمون الاشتراكية القائمة ويتحدثون عن اشتراكية مبهمة لم تتحقق حتى الآن فى أى مكان ولا يوجد ما يدل على امكان تحقيقها أبدا . وثمة مجموعات يسارية متطرفة صغيرة منتمية الى هذا المعسكر . وهى لا تؤثر بصورة خاصة ولكنها توجه ضربتها الى الطليعة وتضلل التقدميين ، ولاسيما الشباب الذى يندفع نحو اليسار بقلبه أكثر مما بعقله ويحتضن قضيتنا بحماسة عظيمة . وتحاول المجموعات اليسارية المتطرفة اقناع الشبان بأن حزبنا اصبح « عنيفا » و « جاهلا » و « بيروقراطيا » ، وأن مختلف المغامرين « اليساريين » هم الثوريون الحقيقيون . ونحن نرى أن من المهم للغاية فضح نشاطها الانقسامى وقد نشرنا كتبا وكتيبات ووثائق موجهة ضد المظاهر التحريفية اليمينية ، و « اليسارية » . ونحن عن طريق منظمة الشبيبة الشيوعية نناضل بشكل متواصل ضد عداء اليساريين المتطرفين فى الجامعة للشيوعية . ويقوم الحزب بعمل توضيحى نشيط بين العمال بهدف توحيد العمال وشرح اهدافه البرنامجية وتوجيهاته لهم . واعتقد ان هذا هو اهم جانب فى عمل حزبنا لمكافحة الايديولوجية المعادية للشيوعية .

ونحن بالطبع لانعتبر هذه المنظمات بكاملها معادية للشيوعية . كما لانعتبر كل من لايقبل سياستنا أو يختلف معنا عدونا . غير أنه من الواضح أننا يجب ألا نقاوم عـداء الرجعيين واليمينيين المتطرفين للشـيوعية من مواقع الثورة المضادة فحسب ، بل وأن نبذل جهدا خاصا لصد جميـع الهجمات على حزبنا التى يشنها الثوريون المزيفون أو البيروقراطيـون النقابيون المذكورون أعلاه .

ونحن نعتقد أننا نتمتع الآن بالشروط اللازمة لعزلة العداء للشيوعية . وهى تتمثل أولا فى الوضع الموضوعى فى العالم ومكاسب الاشتراكيـة القائمة والطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وانهيار النظام الاستعمارى والوضع فى كل بلد اليوم يرتبط ارتباطا وثيقا بميزان القوى العالميـة . وبما أن هذا الميزان يتحول لمصلحة قوى التقدم والديموقراطية والتحـرر الوطنى ضد الامبريالية ، فانه يتيح للطبقة العاملة والشـيوعيين والمناضلين الآخرين من اجل الديموقراطية والتقدم فى العالم كله امكانات أفضل لعزل العداء للشيوعية . ومن المهم للغاية كذلك أن العداء للشيوعية وللسوفييت يفضح عدم امكان الدفاع عنه وعدم انسجامه مع مصالح الناس . ومن المؤكد أن الناس يتعلمون من دروس الماضى . فيمكن تضليلهم مرة أو مرتين ولكنهم لابد أن يتخذوا موقفا صحيحا بعد ذلك اذا كانت لديهم طليعـة مرشدة . ومن المؤكد ايضا أن من الصعب تحقيق هذه المهمة فى البـلدان التى تسيطر عليها الايديولوجية البرجوازية . وربما تكون هناك مكاسـب وانتكاسات ، ولكننا واثقون من انتصارنا النهائى .

●●●

أوتــو شــودلــ

حزب العمل السويسرى

تستخدم البرجوازية السويسرية بصورة نشيطة العـداء للشـيوعية والسوفييت لتضليل الطبقة العاملة . والاداة الرئيسية للدعاية المعـادية للشيوعية هى الصحافة . فالبرجوازية تلقى ظلا قاتما على الحياة فى الاتحـاد السوفييتى لصرف انتبـاه الكادحين عن الحقيقة الماثلة فى أن الرأسـمالية السويسرية ، بوجه عام ، عاجزة عن التصدى للقضايا الناجمة عن الازمة . وتزعم أن حقوق الانسان مضطهدة هناك وتقلل من مساهمة الاتحـاد السوفييتى فى الانفراج قائلة ان جهد الاتحاد السوفييتى فى سبيل السلم هو مجرد واجهة وان الاتحاد السوفييتى لا يريد نزع سلاح حقيقى . وليس هناك من ينكر أن الدعاية المعادية للسوفييت تحظى ببعض الاستجابة حتى بين أوساط العمال وتؤثر تأثيرا سلبيا عليهم . وما تزعمه عن احتجـاز « المعارضين » فى مستشفيات الامراض العقلية يلعب دورا بارزا فى هـذا

المضمار . والدعاية فى هذا الاتجاه تضر بجهد حزبنا الدعائى .

والعامل السويسرى بطىء للغاية فى احساسه بالوضع الجديد الذى خلقته ازمة الرأسمالية العالمية . فهو فى الغالب لايحس به الا عندما يؤثر عليه شخصيا . وتستفيد البرجوازية من خوف الانسان من أن يفقد عمله . وتحاول تحريض المواطنين ضد المهاجرين بغية شق صفوف الكادحين ويتعرض اليساريون للرقابة البوليسية . وهم مسجلون فى البطاقات التى يستخدمونها أرباب العمل لرفض استخدام شخص معين أو لطرد الاشخاص من العمل . ونظام الاستخدام والطرد من العمل الذى مايزال غير رسمى والذى يتشكل فى المكاتب الحكومية لمحافظة زيوريخ ، مركز الحركة الفاشية السويسرية فى الثلاثينات ، مماثل الى حد كبير لقانون الحرمان من ممارسة المهنة فى المانيا الغربية . ويجرى شىء مماثل فى المحافظات الاخرى .

ولابد من القاء جزء كبير من اللوم فى تضليل العمال على الحزب الاشتراكى الديموقراطى الذى يسيطر عليه اليمين . فالاشتراكيون الديموقراطيون فى المجلس الفيدرالى وفى الحكومة يتعاونون مع الاحزاب البرجوازية التى تحاول معالجة الازمة بوضع عبء نتائجها على عاتق الجماهير . ويحاول الحزب الاشتراكى الديموقراطى تبرير تأييده لهذه السياسة بالاشارة الى الحاجة الى توفير الاعتمادات المالية للحكومة من أجل « السياسة الاجتماعية » التى تنتهجها ولكنه لايقول شيئا عن الحاجة الى أن يدفع الاغنياء . وتحت تأثير العداء للشيوعية وللسوفييت تتمسك قيادة الحزب الاشتراكى الديموقراطى برفضها للتعاون مع حزب العمل السويسرى على الصعيد الوطنى حتى فى الدفاع عن مطالب الكادحين الاجتماعية .

ويرى حزبنا ان هزيمة العداء للشيوعية بوصفه أيديولوجية لاخضاع الكادحين للنظام الرأسمالى تستلزم شن نضال متواصل فى الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وبقية الكادحين وتشكل جبهة ديموقراطية واسعة ضد راس المال الاحتكارى وثمة أتفاق فى المحافظات الناطقة بالفرنسية بين حزب العمل السويسرى والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية حول عدد من القضايا . ونحن نعمل لتوسيع التعاون حول هذه القضايا ليشمل بقية أنحاء البلاد . وفى مقاومة الدعاية المعادية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى نستخدم صحافتنا ونقوم بتنظيم محاضرات . كما أن جمعيتى الصداقة السويسرية السوفييتية والسويسرية الالمانية الديموقراطية تقومان بدورهما بتنظيم محاضرات واعمال ثقافية . ومن المؤسف أن امكاناتنا للتصدى للدعاية المعادية محدودة . فلدينا صحيفة يومية واحدة — لافوا أوفرير — فى الجزء الناطق باللغة الفرنسية من البلاد ،

وصحيفتان أسبوعيتان فورفارتس « باللغة الالمانية » ولافوراتورى « باللغة الايطالية » .

● ● ●

إميل توما

عضو المكتب السياسى للجنة المركزية
للحزب الشيوعى الاسرائيلى

ان العداء للشيوعية المرتبط ارتباطا عضويا بالعداء للسوفييت ، عنصر رئيسى من عناصر أيديولوجية وسياسة الدوائر الاسرائيلية الحاكمة . ومن المؤكد أن الصهيونية – وهى أيديولوجية هذه الدوائر – تتناقض مع النظرة الشيوعية الى العالم . كما أن الشيوعية والصهيونية تختلفان تمام الاختلاف من الناحية السياسية .

وينبع التميز المعادى للشيوعية لدى الحكام الاسرائيليين كذلك من توجه سياستهم الخارجية . فمنذ تأسيس دولة اسرائيل ظل قادتها الموالون للصهيونية ينتهجون سياسة انكار حقوق الشعب العربى الفلسطينى والاعتداء على حقوق البلدان العربية المجاورة . وبلغت هذه السياسة ذروتها فى الحربين العدوانيتين فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، اللتين كشفتا عن تحالف الحكام الاسرائيليين مع الامبريالية ضد حركة التحرر الوطنى العربية وعداء الحكام الاسرائيلين للشيوعية والسوفييت وسياستهم المغامرة تصطدم بمعارضة حازمة من حزبنا ، الذى يصر على تسوية عادلة وشاملة للقضية الفلسطينية والنزاع العربى الاسرائيلى عن طريق سحب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة ، كما تصطدم بتأييد الاتحاد السوفييتى الحازم للشعب العربى الفلسطينى والشعوب العربية الاخرى .

ويمكننا أن نبرز مظهرين أساسيين من مظاهر العداء للشيوعية فى اسرائيل : أولا ، الهجمات الهستيرية على سياسة الحزب الشيوعى الاسرائيلى التى ترافقها « مناقشات » صحفية ضد الايديولوجية الشيوعية وثانيا ، الجهود المركزة المخططة لعزلة حزبنا فى السياسة الداخلية ومنع الشعب من التعرف على الحقيقة الماثلة فى أن الحزب الشيوعى الاسرائيلى يقترح البديل الوحيد الواقعى والمعقول لسياسة الحرب الخطيرة ، وذلك لانه يقدم للمناقشة سياسة تلبى المصالح الحقيقية للكادحين .
ويتوقف النجاح فى النضال ضد العداء للشيوعية فى المدى البعيد على نمو تأثير الاحزاب الشيوعية والعمالية اذا توفرت ظروف دولية ملائمة لذلك . وبالطبع ظل كل حزب يكافح العداء للشيوعية فى ظروف متباينة

يحددها التاريخ الوطنى والتقاليد الوطنية · وفى الوقت نفسه تظهر تجربتنا ومعرفتنا للتاريخ المعاصر أن النجاح فى النضال ضد العداء للشيوعية يعتمد على عاملين : أولا التطبيق الخلاق والمرن للشيوعية العلمية مع الاحتفاظ بنقاء التعاليم الماركسية اللينينية · وثانيا ، المقاومة الحازمة التى لا تعرف المساومة للعداء للسوفييت · تلكم هى تجربة الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى يعمل فى جو مشحون بعداء مسعور للشيوعية .

ويشرح حزبنا للجماهير أن العداء للشيوعية والعداء للسوفييت هما ستار تواصل الدوائر الحاكمة فى اسرائيل من ورائه استغلال الكادحين والتمسك بسياسة العدوان والتوسع الموجهة ضد الشعوب العربية ، تلك السياسة التى تشكل خطرا على هذه الشعوب وعلى اسرائيل نفسها . ونشاط رفاقنا بين الجماهير وفى النقابات يساعد على فضح العداء للشيوعية بالنسبة للكادحين . ويلعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى دورا قياديا فى الحركة من أجل الصداقة بين شعبى اسرائيل والاتحادالسوفييتى ونحن نعتقد أن اقامة حاجز جبار أمام الافتراءات المعادية للسوفييت ، وتطوير الصداقة بين شعبينا ، يمثلان شرطا ضروريا للنجاح فى النضال من اجل انزال الهزيمة بالعداء للشيوعية · ويعتبر حزبنا التضامن مع الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تعبيرا عن الاممية البروليتارية . كما نرى أن أى موقف « متحفظ » أو ناقد ازاء الاتحاد السوفييتى لن يساهم فى القضية الشيوعية أو يساعد على اضعاف العداء للشيوعية . فمثل هذا الموقف من شأنه أن يؤدى الى تحطيم حزب العمال واضعاف الاممية البروليتارية وتوليد انحرافات خاطئة .

● ● ●

إدريس كوكس

الحزب الشيوعى البريطانى

يتمثل التعبير الرئيسى عن العداء للشيوعية فى بريطانيا فى الحملة المتواصلة ضد الاتحاد السوفييتى ، التى تزعم أنه يستند الى قوة مسلحة فائقة لفرض ارادته على بلدان أخرى ، وأنه يقوم بتوسيع طاقته النووية لهذه الغاية بالذات . وثمة زعم بأن الشيوعيين فى جميع البلدان الاشتراكية « وكذلك فى العالم الراسمالى » يعارضون الحكم الديموقراطى ويسعون الى فرض نظام تحكم فيه الاقلية الاغلبية وتضطهد الدين وتمنع « حرية التعبير » عن الافكار السياسية .

وقد طورت الطبقة الحاكمة البريطانية خلال أكثر من قرنين من الزمان تجربة واسعة فى أساليبها الماكرة لتضليل الناس العاديين . وفى بعض المناسبات تدعو ممثلين عماليين تقدميين « وحتى شيوعيين ، ولو نادرا جدا » للحديث من دار الاذاعة والتليفزيون ، وذلك لخلق انطباع بأن وسائل الاعلام

غير متميزة . ولكنها بعد برنامج قصير تعود الى الدعاية الرجعية المعهودة. التى لايمنح الشيوعيون فرصه للرد عليها أبدا .
ولا يمكن عزلة العداء للشيوعية كليا طالما بقيت الامبريالية والرأسمالية وكل مايمكن عمله هو الحد من مداه واضعاف تأثيره بين الجماهير . فالعمال لا يعارضون الشيوعية « بطبيعتهم » ولكنهم يحملون على تصديق تشويه الافكار الشيوعية .

ولا تكفى معارضة العداء للشيوعية بالاقوال والصور وحدها أو حتى على شاشة السينما . فالعمل الجماهيرى فى البلدان الرأسمالية لتأييد المطالب والحاجات اليومية لجماهير الشعب هو نقطة الانطلاق بالنسبة للنضال ضد العداء للشيوعية . وعندمايعبرمختلف الشيوعيين أو مجموعات منظمة منهم عن حاجات زملائهم العمال ويبدأون فى قيادة النضال لتلبية هذه الحاجات ، يبدأ الناس العاديون يغيرون آراءهم حول الشيوعية .

والرد الحاسم على العداء للشيوعية هو تنظيم الرجال والنساء فى مركز الانتاج فى النضال لرفع أجورهم وتحسين ظروف العمل ، وفى الشارع والحى من أجل المزيد من المساكن الافضل بايجار أقل ، وضد التضخم وارتفاع الاسعار . ذلكم هو الجو الذى يجرى فيه الاعتراف بالشيوعيين بوصفهم قادة سياسيين موثوق بهم . وفى هذا الوضع بالتحديد تنمو الافكار الماركسية ويصبح من الاسهل اظهار انجازات الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى .
ان استيعاب المبادىء الاساسية للماركسية ومغزى الشيوعية النظرى والعملى ليس عملية تلقائية . فهو امر يحتاج الى دراسة متواصلة والى الجمع بين النظرية والممارسة وكذلك التجربة الغنية فى النضال ضد الرأسمالية ومن أجل انجاز الاشتراكية .

وتتفاوت أشكال النضال ضد العداء للشيوعية حسب الظروف فى كل مصنع أو منجم ، وفى الصناعة بأكملها ، وفى كل قرية أو مدينة أو منطقة أو فى البلاد بأسرها . ويسعى الشيوعيون الى أن يثبتوا بالعمل أنهم جزء من الشعب ويشاركونه النضال . وقد انتخب العديد من الشيوعيين الى مراكز قيادية فى النقابات البريطانية ، وهم فى وضع أقوى لشن النضال السياسى ضد العداء للشيوعية ، ولابد لكل شيوعى فى بريطانيا أن يكون أكثر حماسة فى كسب المزيد من القراء لصحيفة « مورننج ستار » ، الصحيفة اليومية العمالية الوحيدة فى بريطانيا . ويحتاجون الى المزيد من التركيز على رفع مستوى وعى الطبقة العاملة السياسى بتوسيع بيع الادبيات الشيوعية « الكتب والمجلات والكتيبات » وبعقد اجتماعات عامة ومظاهرات ومحاضرات جماهيرية حول النظرية الشيوعية والممارسة الشيوعية .

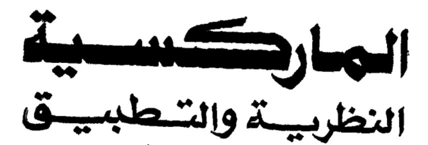
●

• كاريكاتير •

رجال الإنقاذ — ف. فوميتشيف

رقصة غير شعبية — د. أجاييف

لحن زائف — م. أبراموف



« المذهب الماركسى مذهب كلى لانه صحيح . انه مذهب شامل ومتناسق ، ويقدم للبشر نظرة عالمية متكاملة لا تعرف التهادن مع اى شكل من اشكال الخرافة أو الرجعية أو الدفاع عن الاضطهاد البرجوازى » .

ف . ا . لينين

فى الخامس من مايو هذا العام انقضى مائة وستون عاما منذ ميلاد كارل ماركس . واحتفالا بهذه المناسبة نظمت مجلةقضايا السلم والاشتراكية مجموعة أبحاث دولية تضم : جرجين جيرجينوف ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى ، ولويس باديللا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعىالبوليفى ، وجورج كويتوسكى ممثل الحزب الشيوعى الالمانى ، وتيودور ويزرمان العضو المراسل فى أكاديمية العلوم السوفييتية ، وفازيزوسيمى عضو الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا .

وركزت مجموعة الابحاث على القضايا الرئيسية التالية :

ـ الدور المتنامي لمذهب ماركس في المرحلة الحالية ٠

ـ الماركسية كنظام علمي متطور ٠

ـ المذهب الماركسي كمرشد للعمل في حركة تحرر الطبقة العاملة ، وبناء مجتمع اشتراكي ونضال الشعوب المعادي للامبريالية ٠

واليكم عرضا موجزا لمناقشات المجموعة أعده أفرادها ٠

في عصرنا ، يتبنى ملايين الناس مذهب ماركس باعتباره نظرتهم الى العالم ٠ وعندما يستحوذ هذا المذهب على الجماهير يتحول الى قوة مادية ٠ أي يظهر في شكل عمل متماسك ومنظم وموحد وثوري للجماهير ، لقد أحدث مذهب ماركس ثورة في العالم ، ويجد ذلك تعبيرا عنه في منجزات البناء الاشتراكي ومكاسب الطبقة العاملة وحركات التحرر الوطني ٠

في بداية هذا القرن كان أيديولوجيو البرجوازية يزعمون أن الملكية الخاصة « التي كانوا يطابقون عادة بينها وبين الملكية الشخصية » شرط طبيعي لوجود المجتمع المتمدين ، وأن التعارض بين الطبقات قد أرسل من السماء لامتحان الفضائل البشرية ، في حين أن وجود جماهير الشعب المعدمة هو ـ للاسف ـ شر لابد منه ، اذ لايمكن أن يوجد الفردوس على الارض . أما اليوم فلم يعد منظرو البرجوازية يزعمون ـ أو يطنبون في زعمهم ـ أن الرأسمالية خالدة ، بل على العكس انهم يميلون بصورة متزايدة الى اثارة هذا السؤال : « هل يمكن أن تبقى الرأسمالية ؟ » انهم يقولون أن المجتمع البرجوازي قد دخل بالفعل مرحلة تطور غير رأسمالي سيؤدي « وبالطبع دون أي ثورة أو خسارة للبرجوازية» الى الوفرة الشاملة وحتى الى اختفاء التمايز الطبقي .

وعلى عكس الايديولوجية البرجوازية التقليدية يزعم أحدث أنواع هذه الايديولوجية بصورة متزايدة أنه قد خلق بديلا نظريا للتنظيم الرأسمالي للمجتمع ، خلق طريقا « ثالثا » أو « وسطا » ، يدعون أنه خال من « تطرف » الرأسمالية الفردية والاشتراكية الجماعية ٠ كما يخدم هذه الاستراتيجية الايديولوجية بعيدة المدى أيضا مفهوم « الاقتصاد المختلط » (الذي يزعمون أنه جزئيا رأسمالي وجزئيا اشتراكي) ونظريات « المجتمع مابعد الصناعي » و «دولة الرفاهية » و « المجتمع الاستهلاكي » وما الى ذلك ٠

واليوم كثيرا مايستخدم أعداء الشيوعية عبارات اشتراكية زائفة ومعادية للرأسمالية ، وكثيرا مايزعمون أن الرأسمالية ليست رأسمالية بأي حال ، وأن

الاشتراكية أبعد مانكون عن الاشتراكية ، بل أكثر من ذلك اذ يؤكدون أن المجتمع البرجوازى هو الذى يحقق المثل العليا الاشتراكية • فما هو تفسير هذا التحول الذى يبدو غريبا لدى الوهلة الاولى فى الايديولوجية البرجوازية ، ليس هناك سوى اجابة واحدة : انه قوة الجذب العظيمة للنظرية الماركسية والقوة المثيرة للاعجاب للحركة الحديثة المعادية للامبريالية وللرأسمالية ، والتى تتنوع أشكالها ، وحيوية النظام الاشتراكى وتفوقه على الرأسمالية ، مما يزعج من حين الى آخر حتى أكثر أنصارها حماسا .

ومن هنا فليس مما يثير الدهشة ألا يعود دعاة الرأسمالية يعلنون صراحة أنهم يقفون مع النظام الرأسمالى ويدافعون عنه ، وهذا هو السبب فى أنهم لا يأخذون فى اعتبارهم الماركسية فحسب ، بل كثيرا مايعترفون « وان يكن ذلك مصحوبا بمختلف التحفظات ، بأنها تمارس الآن تأثيرا قويا على البشرية•

وغنى عن البيان أنهم حين يتناولون الماركسية يحرصون على قتل محتواها السياسى الاجتماعى الشيوعى • وقد فضح لينين عشية ثورة أكتوبر مثل هذه التفسيرات للماركسية حين قال « ان ما يحدث الآن لتعاليم ماركس قد حدث مرارا فى مجرى التاريخ لنظريات المفكرين الثوريين وقادة الطبقات المقهورة المناضلة من أجل التحرر ، فخلال حياة الثوريين العظام طاردتهم الطبقات القاهرة على الدوام ، واستقبلت نظرياتهم بأشد ضراوة وأعنف حقد ، وبحملات من الاكاذيب والافتراء لاتتورع عن شىء • وبعد وفاتهم تبذل المحاولات لتحويلهم الى أيقونات لا ضرر منها ، ولتقديسهم اذا أمكن القول ، وتمجيد أسماؤهم الى حد ما بهدف « ترضية » الطبقات المقهورة وخداعها مع تجريد النظرية الثورية فى الوقت نفسه من جوهرها ••• واليوم تتآلف البرجوازية والانتهازيون داخل الحركة العمالية فى هذه المعالجة « للماركسية » (المؤلفات الكاملة ــ المجلد ٢٥ ــ ص ٣٨٥ » • وقد ظهر هذا الاتجاه قبل ثورة أكتوبر ، وهو أكثر بروزا فى الايديولوجية البرجوازية المعاصرة بدرجة لاتقاس •

وقد حلل المشتركون فى المناقشة أفكار مدرسة فرانكفورت للدراسات الاجتماعية التى كان لها تأثير بارز على الاشتراكيين الديمقراطيين المعاصرين • ويزعم أفراد المدرسة أنهم يدعون الى « ماركسية أصيلة » يسمونها عادة « النظرية الانتقادية » وكذلك « الماركسية الجديدة » أو « الماركسية الغربية » فى مواجهة الماركسية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى • والواقع أن « النظرية الانتقادية » انعكاس للماركسية فى وعى البرجوازية الصغيرة • ومن بين سماتها المميزة انكار رسالة البروليتاريا الاشتراكية ، وتجاهل خبرة حركة تحررها ، وفى الواقع اتخاذ موقف سلبى من النظام الاشتراكى القائم • ان معاداة البرجوازية الصغيرة الاصلاحية للرأسمالية كما هى لدى « المنظرين الانتقاديين » فى فرانكفورت لاتعدو أن تكون نقدا ذا نزعة انسانية مجردة «للمجتمع الصناعى» وهو مفهوم يمثل بذاته قالبا جاهزا من قوالب علم الاجتماع يستخدم لتعمية

التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية ، بحيث كثيرا ماننتهى معاداة مدرسة فرانكفورت الرومانسية الى معادة تافهة للشيوعية ٠

والمقدمة النظرية لانكار التناقض الاساسى بين النظام الاجتماعى الاشتراكى والنظام الاجتماعى الرأسمالى هو رفض المفهوم الاساسى للمادية التاريخية وهو مقولة علاقات الانتاج ٠ ويزعم يورجن هابيرماس الفيلسوف الالمانى الغربى أن علاقات الانتاج لم توجد الا فى اطار « الرأسمالية الليبرالية » وأنها غريبة تماما على « رأسمالية أيامنا هذه » التى يزعم أن القوة المنتجة تتطور فى ظلها دون هذا الشكل الاجتماعى الخاص الذى يعلن ببساطة أنه قد جرى تجاوزه ولم يعد موجودا ٠ بمثل هذا النوع من المعالجة المنهجية يصبح الغاء أسلوب الانتاج الرأسمالى فى الواقع أمرا سطحيا ، هذا هو السبب في أن كل برنامج مدرسة فرانكفورت الاجتماعى لايعدو أن يكون دعوة الى ليبرالية المؤسسات الاجتماعية ، وتوسيع نطاق « العلاقات الانسانية » وتطوير « التفاعل » والاتصال بين الاشخاص الخ ٠٠٠ وهى تقدم هذا كله باعتباره تفسيرا « أصيلا » للماركسية ٠

والماركسية نظرية متلاحمة متكاملة لاترتبط مكوناتها ــ الفلسفة والاقتصاد السياسى والاشتراكية العلمية ــ فيما بينها ارتباطا وثيقا فحسب ، بل انها بمعنى ما تتحول الى بعضها البعض ٠ وتربط الماركسية تحليلها للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الرئيسية لحياة المجتمع بتحليلالمجتمع فى مجموعه، أى كوحدة لعلاقاته الاجتماعية المتنوعة ٠ ومنذ أكثر من قرن بدأ ماركس وانجلز أولا التحليل المتشعب لحياة المجتمع ، وثانيا التحليل المنهجى للعملية الاجتماعية، وثالثا تحليل تطور المجتمع ٠ انهما لم يسموا فحسب فوق غيرهم من المؤرخين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع فى عصرهم بل لقد استبقا مناهج البحث التى تتبنى اليوم كذلك فى علوم الطبيعة ٠

والحق أنه فى أيام ماركس وانجلز كانت النظريات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية بل كذلك أكثر علوم الطبيعة تطورا ، تعتبر « بالطبع بقدر ماكانت تعتبر أصيلة » نظما للمعرفة كاملة فى الاساس ، ومستقلة عن تطور المعرفة اللاحق ٠ وهكذا كانت الميكانيكا الكلاسيكية والهندسة والمنطق تعتبر علوما قاربت على استنفاد موضوعها ، وهى نظرة دحضها ظهور الهندسة غير الاقليدية والمنطق الرياضى والميكانيكا النسبية وفيزياء الكم ٠ فالحقيقة عملية ، واذ يبلغ العلم حقيقة محددة فانه لايوقف تحليله ، وانما يواصل التطور ، مكتشفا حقائق جديدة ، ومصححا الآراء الصادقة التى أرساها ٠ وقد صاغ ماركس وانجلز اللذان طبقا منهجيهما المادية الدياليكتيكية تطبيقا خلافات هذه المبادىءالمنهجية التى يقبلها اليوم كل العلماء التقدميين ٠

ونظرية ماركس **نموذج للمعالجة العلمية** ٠ وبعد أن قررت مجموعة الابحاث ذلك مضت لتدرس الزعم البرجوازى والتحريفى النموذجى القائل بأن **التعددية** فى الماركسية ليست أمرا محتوما فحسب ، بل وضروريا ٠ ويتلخص بشكل عام

فى أن أى تحريف للمبادىء الماركسية ـ بما فى ذلك التخلى عن بعضها ـ اذا كان مصحوبا بتصريحات عن التمسك بالماركسية ، يمكن أن يعتبر محاولة مقبولة لانتاج صورة جديدة من الماركسية . وهكذا يحاول دعاة التعددمساندةالفكرة القائلة أن عددا كبيرا من النظريات الماركسية المختلفة ـ المتكافئة والمستقلة بعضها عن بعض ـ يمكن ويجب أن يوجد • ولنذكر أن انتهازيى الاممية الثانية حاولوا « ربط » الماركسية بالكانتية الجديدة وقدم التحريفيون النمساويون « ماركسية نمساوية » وحاول بعض الاشتراكيين الديمقراطيين ـ تحت تأثير الفرويدية ـ « اكمال » ماركس بتحليل فرويد النفسى ـ ومنذ وقت ليس بالبعيد قدم الفيلسوف المثالى الفرنسى سارتر مذهبه باعتباره « ماركسية وجودية » • وأعلن التومائى الجديد النمساوى مارسيل ريدنج ضرورة الجمع بين نظريتى ماركس وتوما الاكوينى • ويشعر البعض بأن عليهم أن يؤكدوا دعوتهم الى « الماركسية الثورية » أو « الماركسية الديمقراطية » غافلين عن الحقيقة الماثلة فى أن الماركسية « غير الثورية » أو « غير الديمقراطية » ليست ماركسية على الاطلاق •

وليست بنا حاجة الى اثبات أن محاولات « تنويع » الماركسية هذه ، وتفسير نظرية ماركس وفقا لافكار ذاتية هى محاولات انتقائية ، تتجاهل تلاحم النظرية الماركسية وتكاملها • كما أنها فى الواقع انكار لكل من الطبيعةالعلمية للماركسية وروابطها الوثيقة بمصالح الطبقة العاملة • كما أن من الواضح أن القول بأن كل تفسيرات الماركسية متكافئة متعادلة لايعدو أن يكون انكارا لنظرية ماركس الحقيقية وتبرير لأى تشويه لها • فبعد أن هزمت الماركسية الانواع العديدة من اشتراكية البرجوازية الصغيرة بدأ خصومها يتزيون بزى ماركس • والحق أن مختلف محاولات « ايجاد ماركسيات عديدة » هى بالتحديد مثل هذا النوع من التدريبات •

والاممية هى السمة الاساسية للتعاليم الماركسية • فللطبقة العاملة فى كل البلدان والقارات نفس الاهداف الحيوية طويلة الاجل ، كما أن قوانين تطور الرأسمالية ، وتقدم حركة تحرر الطبقة العاملة «وكل حلفائها الطبقيين» ، والبناء الاشتراكي والشيوعى ، هى نفسها فى كل البلدان • فليس ثمة قوانين خاصة لتطور الرأسمالية البريطانية أو الامريكية مثلا ، فالقانون ، أى قانون ، سواء فى الطبيعة أو فى المجتمع هو شكل للشمول • وقد أوضح ماركس فى « رأس المال » قوانين التطور الرأسمالى التى تنطبق على كل البلدان لكن من الواضح كذلك أن تطور الرأسمالية فى الولايات المتحدة يختلف كثيرا عن العملية نفسها فى بريطانيا وفى غيرها من البلدان ، بحيث يغدو تحليل هذه الخاصية التاريخية مهمة علمية هامة • وينطبق الشىء نفسه على قوانين الصراع الطبقى وقوانين البناء الاشتراكى •

ويعارض أتباع ماركس التطبيق العقائدى الجامد للماركسية ، تطبيقها كقالب ، وتجاهل الظروف التاريخية المحددة والسمات الخاصة للبلد المعين أو

لمستوى تطور الطبقة العاملة ومااِلى ذلك . قال لينين ان من المهم أن نبحث وندرس ونتنبأ وندرك ماهو خاص قوميا ، ماهو مميز ، فى الطريقة **المحددة** التى يعالج بها كل بلد نفس المهمة الامية ((**الواحدة**)) « المجلد ٢١ ـ ص ٩٢» . وتمثل اقامة مجتمع لا طبقى هذه المهمة الامية الواحدة للطبقة العاملة وحلفائها فى كل البلدان . غير أنه ـ كما لاحظ أعضاء مجموعة البحث استنادا الى خبرة بلدانهم ـ يكون من التبسيط المفرط أن نفترض أنه لأن قواعد النضال من أجل الاشتراكية شاملة فان المهمة الامية الواحدة يمكن أن تنجز بالطرق والوسائل ذاتها . ان فهم خبرة كل بلد وكل حزب شيوعى وتلخيصها نظريا أمر ذو أهمية أساسية هائلة . وتؤمن المادية الماركسية الديالكتيكية بأن كل وحدة لاتتضمن التطابق فحسب ، بل الاختلاف كذلك ، وهذا الاخير بلاشك هوالجوهرى. فالتطابق دون اختلاف ليس تطابقا حقيقيا . وانما تجريد ميتافيزيقي. يقول لينين « ليس من شك مطلقا فى أن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية متصور فى أشكال مختلفة ، تتوقف على ما اذا كانت علاقات الانتاج الرأسمالى الكبير أم الانتاج الصغير هى السائدة فى البلاد » (المجلد ٣٢ ـ ص ٢٣٣) .

ان ظروف حركة تحرر الجماهير العاملة ، وظروف بناء الاشتراكية ، بالغة التنوع ، ويشهد التقدم الثابت للصراع ضد الرأسمالية ولبناء المجتمع الاشتراكى ـ بالرغم من كل تنوع هذه الظروف ـ بصدق التعاليم الماركسية وقوتها . فالظروف المتميزة نوعيا التى يتحقق فيها المثل العليا الشيوعية فى الممارسة هى أساس اثراء النظرية الماركسية . ويساهم كل حزب شيوعى فى تطوير النظرية الماركسية بتحليل الظروف الخاصة لنشاطه وفهمها . ويمثل تنوع الخبرة التاريخية التى يجرى تلخيصها من المواقف الماركسية الثروة الايديولوجية الهائلة . يقول ليونيد بريجنيف : « أنها خبرة فى بناء الاشتراكية فى ظل تنوع الظروف البالغ مما يبين كلا من قوانينها الموضوعية العامة وتنوع الاشكال المحددة . وهى أيضا خبرة الدفاع عن مصالح الجماهير الحيوية . وتعبئة القوى الثورية ، والنضال من أجل الاشتراكية فى بلدان ذات مستويات تطور مختلفة . وهذا كله يتطلب تحليلا وتعميما ، يزيد من ضرورتها ، ان خبرة كل حزب شقيق تحوى بالضرورة ـ الى جانب سماتها الخاصة المستمدة من الخصائص الوطنية ـ سمات عامة لها أهميتها بالنسبة لحركتنا بأسرها . كما أن الحياة تضيف باستمرار شيئا جديدا الى تطور العمليات السياسية ـ الاجتماعية والاقتصادية الموضوعية فى بلدان مفردة وعلى النطاق العالمى ، والى النضال من أجل أهدافنا المشتركة .

وفى العصر الحالى حيث تندمج التيارات الثورية الرئيسية الثلاث ـ الجهود البناءة للبلدان الاشتراكية وحركة تحرر البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى للشعوب المعادية للامبريالية ـ فى موجه واحدة تبرز الاهمية العلمية والعملية السياسية للماركسية ، **لكل مناطق كوكبنا** بأكبر وضوح . ويبين هذا بطلان تفسير الماركسية تفسيرا يتركز على أوربا ، هذا التفسير الذى يزعم أن ماركس لم يستند الا على خبرة أوربا . بل حتى أوربا الغربية وحدها ، بحيث أن نظريته لاتنطبق على القارات الاخرى . وهذا أيضا

هو الموقف من اللينينية حين تبذل الجهود لتصويرها كنظام اقليمي من الافكار التى تعكس الظروف التاريخية الخاصة لتطور روسيا • وهذه الفكرة خاطئة تماما ، أولا لأن ماركس وانجلز أوليا اهتماما كبيرا للهند وغيرها من البلدان المستعمرة • وانطلاقا من الآراء التى صاغها مؤسسا الماركسية انضج لينين يشكل شامل نظرية المسألة القومية ومسألة المستعمرات فى اطار مذهب عن الامبريالية باعتبارها أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية ومرحلتها الاخيرة ، وثانيا لان ماركس يحلل فى « رأس المال » تطور الرأسمالية من الاقتصاد السلعى البسيط الذى يوجد فى مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، ويوضح القواعد التى يعمل ويتطور وفقا لها •

لقد درس مؤسسا الماركسية وهما يصوغان مذهبهما حول التشكيلات الاقتصادية ــ الاجتماعية الانتقال التاريخى من الاقطاع الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الاشتراكية كمرحلة أولى للتشكيلة الشيوعية وفى أيامنا حين أصبح التقدم نحو الاشتراكية عملية عالمية ، يشمل المذهب الماركسى عن طريق الانتقال الى الاشتراكية تحليلا للمقدمات الاقتصادية ــ الاجتماعية للتحويل الاشتراكى لعلاقات الانتاج التى تنشأ لا فى التشكيلة الرأسمالية فحسب ، بل وكذلك فى عملية التطور غير الرأسمالى لمستعمرات الامبريالية السابقة التى تتبع طريق تطور مستقل • وحتى ماركس وانجلز لم يعتبرا المرحلة الرأسمالية للتطور قدرا محتوما فى أى ظرف تاريخى ، وقد طور لينين وأتباعه فكرتهما حتى غدت نظاما متلاحما منسجما من الافكار

واستمر مذهب ماركس يتطور على أساس الخبرة التاريخية الجديدة والتقدم فى كل العلوم • وفشلت دائما محاولات مجابهة الماركسية بأية فلسفة أخرى أو علم اجتماع آخر لأن الفلسفة وعلم الاجتماع العلميين ــ كما أوضحت الممارسة ــ لايمكن أن يتطورا الا على أساس الماركسية ، أى كتحليل ماركسى • وفى ضوء هذا بحث أفراد المجموعة كذلك مسألة المجال الذى يمكن تطبيق الماركسية فيه • ويزعم بعض الايديولوجيين البرجوازيين أن الماركسية غير قابلة للتطبيق على البلدان ذات المستوى الصناعى المرتفع ، فى حين يزعم البعض الآخر أنها غير قابلة للتطبيق على البلدان النامية • وليست هناك سوى اجابة صحيحة واحدة على كل هذه المزاعم هى : أن الماركسية قابلة للتطبيق على أى موضوع للتحليل الفلسفى والاقتصادى والسياسى ــ الاجتماعى • ولاتتناقض هذه النتيجة بأى حال مع الحقيقة الماثلة فى أن الماركسية هى الايديولوجية العلمية للطبقة العاملة ، فللطبقة العاملة والجماهير غير البروليتارية المقهورة المستغلة نفس المصالح من حيث الاساس • واذا كان ماركس وانجلز قد أبرزا الطبقة العاملة فلم يكن ذلك لانهما أرادا أن يفصلاها عن الطبقات المستقلة غير البروليتارية ، أو أن يضعاها موضع المعارضة منها وانما لكى يوضحا وضعها ــ المحدد تاريخيا ــ كطبقة طليعية ، طبقة قائدة ، تجمع حولها كل المناضلين من أجل تحرر الشعب الاجتماعى •

وحين طرح ماركس وانجلز مهمة ربط الاشتراكية العلمية بحركة الطبقة العاملة ، وحين طور لينين وغيره من الماركسيين اللينينيين بعده هذه المهمة نظريا

وقاموا بأدائها بتكوين الاحزاب الشيوعية ، فان هذا لم يعن بأى حال أن الماركسية لايمكن أو يجب أن تربط الا بحركة الطبقة العاملة وحدها فقد كانت هذه مهمة تاريخية رئيسية ملموسة عولجت فى تلك الفترة ، ومازالت تحتل الاهمية الاولى فى عصرنا ، ولكنها لاتستبعد بأى حال هدف ربط الماركسـية بحركة التحرر الوطنى ، وبالنضال ضد الاحتكار من أجل الديمقراطية ، وبالنضال الديمقراطى العام من أجل السلام وضد الحرب الخ ... وبالطبع فان لعملية ربط الماركسية بالنضال الديمقراطى العام ضد الاحتكارات ومن أجل السلام وحل القضـايا الشاملة سماتها الخاصة ، فقوة الحركة الديمقراطية العاملة تكمن فى أنها تشمل أناسا من اتجاهات سـياسية ــ اجتماعية وأيديولوجية مختلفة . ومن الخطأ التقليل من أهمية هذه السمة النوعية للحركات الديمقراطية العامة لأن المهمة هى تزويد هذه الحركات بأوسع قاعدة اجتماعية ممكنة . لكن من الواضح بالمثل أن الشيوعيين هم أكثر المناضلين اتساقا ضد الفاشية والعسكريةوالعنصرية والفصل العنصرى وقمع الديمقراطية .

وغنى عن البيان أن طريق البلدان النامية الى الاشتراكية طريق شـاق . فالطبقة العاملة فى تلك البلدان صغيرة الحجم ، ومازالت مبعثرة بين مؤسسات صغيرة ، غير أن العمال قوة سـياسية نشيطة تلعب دورا هاما فى الحـركة الاشتراكية . وبالطبع فان تكوين أغلبية السـكان فى منطقة حركة التحـرر الوطنى من الطبقات الكادحة غير البروليتارية يوفر التربة لمفهـومات ومذاهب « اشتراكية » برجوازية صغيرة وطوبارية ، تضفى طابعا مثاليا على التخلف الاقتصادى ، بحيث أنها رغم رفضها للرأسمالية تقوم عادة على افكار الفلسفة وعلم الاجتماع البرجوازيين المعـاصرين وتربط بينها وبين الماركسـية ربطا انتقائيا . لكن تقدم نضال الشعوب التحريرى يبدد هـذه الاوهام ، فالاحزاب الديمقراطية الثورية ــ التى قامت بالكثير فى النضال ضد الاسـتعمار تتحرك نحو الاشتراكية العلمية ، والمزيد من النـاس فى البلدان النامية يتطلعون الى تعاليم ماركس وانجلز ولينين ، ويريدون اشتراكية حقيقية .

ان الماء ــ اذا مالجأنا الى الاسـتعارة ــ أحلى مايكون عنـد النبع . يقول أجو ستينونيتو رئيس الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ــ حزب العمل ــ فى تقريره الى مؤتمرات الحزب الوطنى الاول : « لايمكن أن تكون هناك اشتراكية افريقية واشتراكية أوربية ، اشتراكية للبلدان المتطورة وأخرى للبلدان النامية وانما هناك اشتراكية علمية واحدة أصبحت واقعا فى جزء كبير من العالم »

وقد توصل أعضاء مجموعة البحث الى هذه النتيجة : تنمو أهمية الماركسية باطراد مع تقدم الانسانية . وفى الوقت نفسه فان نظرية حركة تحرر الطبقة العاملة هى منهاج حديث علمى حقا للفكر الثورى والممارسة الثورية فى النضال من أجل السلام والديمقراطية وحرية الشعوب والتقدم والاشتراكية . وتدحض هذه الحقيقة الدافعة والآفاق التاريخية المرتبطة بها حجج الايديولوجيـة البرجوازية التقليدية القائلة بأن الماركسية قد « مضى عصرها » ، وقـد قام أعضاء مجموعة البحث بدراسة خاصة للحجج المستخدمة تأييدا لهذه الفكرة .

ومهما بدا في ذلك من مفارقة لدى الوهلة الاولى فان فكرة أن الماركسية قد « مضى عصرها » قد طرحت منذ سنوات الماركسية الاولى • ففي أربعينات القرن الماضي طرح بعض خصوم الماركسية البرجوازيين الصغار بعض تعاليم ماقبل الماركسية بعد صقلها باعتبارها آخر كلمة في الفكر الفلسفي والاجتماعي • وهكذا زعم الهيجليون الشبان أن مؤسسا الماركسية يتخذان موقفا « عتيقا » و « غير انتقادى » من البروليتاريا التى لم يكن راديكاليو البرجوازية الصغيرة ينظرون اليها الا ككتلة « محرومة » • وعلى العكس قال ماركس وانجلز ان رسالة البروليتاريا التاريخية يحددها وضعها الموضوعي فى ظل الرأسمالية ، وان البروليتاريا تتطور فى النضال ضد رأس المال ، وأنها تصبح فى النهاية قوة قادرة على الغاء علاقات الانتاج الرأسمالية وقالا « ليست » المسألة هى **مايراه** هذا البروليتارى أو ذاك – أو حتى مجموع البروليتاريا كهدف له فى اللحظة الراهنة ، وانما هى مسألة ماهى البروليتاريا فى الواقع وماذا ستجبر تاريخيا على أدائه بحكم هذا **الوجود** • ان هدفها دفعها التاريخي يلوحان بوضوح قطعية فى وضع حياتها ، وفى كل تنظيم المجتمع البرجوازى اليوم •

وتدحض الحياة مزاعم التحريفيين المعاصرين عن « نزع البروليتاريا » الطبقة العاملة و « اندماجها » فى نظام الانتاج الرأسمالى • فالبروليتاريا – القوة المنتجة الرئيسية فى المجتمع البرجوازى – محرومة من وسائل الانتاج التى يملكها الرأسماليون – القوة غير المنتجة فى هذا المجتمع • ان وجود البروليتاريا ذاته داخل اطار الرأسمالية نفى لهذا النظام التناصرى •

ويشير خصوم الماركسية المعاصرون الذين يسعون الى اثبات أنها قد « مضى عصرها » الى أن مستوى معيشة الطبقة العاملة فى بعض البلدان الرأسمالية قد ارتفعت بوضوح بالمقارنة بها فى القرن التاسع عشر • وقد درست هذه الحجة أيضا أثناء المناقشة • لقد انتقد ماركس مفهوم لاسال عن « قانون الاجور الحديدى » ووفقا له يهبط سعر قوة العمل الى الحد الادنى لوسائل تجديد انتاجها • ورأى ماركس الاجور « وبالتالى قيمة قوة العمل » كظاهرة ثقافية تاريخية تتغير مع تطور قوى المجتمع البرجوازى المنتجة ، وبخاصة بسبب الصراع الطبقى المنظم الذى يخوضه العمال • وحقيقة ان البروليتاريا فى بعض البلدان الرأسمالية قد حققت تحسنا ملحوظا فى ظروف معيشتها تشهد بقوة حركة الطبقة العاملة وليس بأى مشاركة اجتماعية بين الطبقات المتناحرة فى المجتمع البرجوازى كما يزعم المنظرون الاشتراكيون الديمقراطيون • ان الطبقة العاملة لاتعارض الرأسمالية فقط حين تهب فى هجوم ثورى على دكتاتورية رأس المال بل كذلك حين تقف فى صراعها اليومى دفاعا عن حقوقها الانسانية وعن ظروف العمل والمعيشة التى انتزعت بالنضال الطويل •

ولكلمات ماركس التالية الصحة والدلالة ذاتهما اللتان كانتا لها فى منتصف القرن التاسع عشر : « فحتى **أكثر الاوضاع مواتاة** للطبقة العاملة ، **وأسرع نمو ممكن لرأس المال** مهما حسن كثيرا من وجود العامل المادى لايزيل التناحر بين

مصالحه ومصالح البرجوازية ، ومصالح الرأسماليين • وتظل **الارباح والاجور** كما كانت من قبل فى **تناسب عكسى** • وربما كانت الازمة العامة للنظامالرأسمالى ـ التى تزداد عمقا وحدة نتيجة التطور السريع للقوى المنتجـة فى ظل الثـورة العلمية والتكنولوجية ـ هى أقوى تأكيد للنظرية الماركسية عن الطابع الزائل من الناحية التاريخية لأسلوب الانتاج الرأسمالى •

وكثيرا ماتمضى المزاعم بأن الماركسية قد « مضى عصرها » جنبا الى جنب مع كتابات الكلاسيكية اللاحقة يحاولون أن يجدوا فى الكتابات الاولى شيئا ليس فيها ، وهو نظرية الاشتراكية الاخلاقية اللاطبقية ، وهى نظرية مثالية قديمة وضع « رأس المال » و « البيان الشيوعى » وغيرهما من الكتابات الماركسية موضع التعارض مع كتابات ماركس الاولى فيما بين ١٨٤١و١٨٤٤ حين كان قد بدأ لتوه تطوير الاشتراكية العلمية وكان ينتقل من المثاليه والديمقراطية الثورية الى المادية الديالكتيكية والشيوعية العلمية • وتحوى كتاباته هذه بشـائر رائعة لاكتشافاته اللاحقة لكنها تحوى أيضا كثيرا من الافكار التى مازالت تحمل طابع مثالية هيجل وانثروبولوجية فيورباخ اللتين ابتعد عنهما ماركس بعد ذلك • وأى وضـــع لكتابات ماركس الادبى (مثل « مخطوطات ١٨٤٤ الاقتصـــــادية والفلسفية ») موضع المعارضة من الكتابات الماركسية الكلاسيكية هى محاولة خبيثة للنيل من الماركسية • فبمثل هذه المعالجة لنظرية ماركس يحلون محل نظرية الصراع الطبقى مفهوم الاغتراب بين الافراد ، الذى يزعمون أنه مستقل عن علاقات الانتاج ، ويحلون محل نظرية فائض القيمة مفهوم اغتراب ناتج العمل ، الذى لايكشف عن خصائص التناحر بين العمل ورأس المال ، وهو تناحر عضوى فى المجتمع الرأسمالى •

ان عبارة ماركس الشاب لاتعنى بأى حال قبولا حقيقيا للماركسية • وأكثر من هذا فان هؤلاء الذين يضعون كتابات ماركس الشاب موضع التعارض مع كتاباته الكلاسيكية اللاحقة يحاولون أن يجدوا فى الكتابات الاولى شـــيئا ليس فيها ، وهو نظرية الاشتراكية الاخلاقية اللاطبقية ، وهى نظرية مثالية قديمة مستعارة من الفلسفة الكانتية الجديدة •

ان خرافة القول بأن الماركسية أصبحت عتيقة تقوم على الزعم بأن الماركسية نظام آراء ثابتة جامدة أرسيت منذ أكثر من قرن ، آراء كانت لها أساس فى وقت ما لكنها فقدته نتيجة التغيرات النوعية التى مر بها النظام الرأسمالى منذ ذلك الحين • وبعبارة أخرى ينكر دعاة هذه النظرية حقيقة واضحة هى أن الماركسية نظاما متطورا يرفض من حيث المبدأ المعالجة غير التاريخية للظواهر ، والتطبيق الميكانيكى لاية آراء ، تصف تطور المجتمع السابق ، على تطوره الحالى أو المقبل • ولم يزعم ماركس أبدا أنالرأسمالية ستبقى على ماكانت عليه فىحياته ، وبالعكس لقد حلل تطور أسلوب الانتاج الرأسمالى الذى يولد بالطبع سمات جديدة نوعيا وهل قال لينين أبدا أن رأسمالية بداية القرن العشرين هى نفسها رأسماليةماقبل الاحتكار فى العصر الذى نشأت فيه الماركسية ؟ انه لم يقل ذلك بالطبع • وعلى العكس من ذلك صاغ لينين النظرية العلمية للمرحلة الامبريالية الجديدة نوعيا للرأسمالية • وهل ينكر الماركسيون اليوم أن رأسمالية الدولة الاحتكارية

**المعاصرة هي ماكانت عليه منذ نصف قرن ؟ على العكس من ذلك يدرس الماركسيون اليوم بعمق لا التغيرات التى جرت فى الرأسمالية فحسب ، بل كذلك أسبابها بين النظامين ، والقوانين الداخلية لتطور التشكيلة الرأسمالية •
مثل الثورة العلمية والتكنولوجية وتأثير الاشتراكية العالمية ، والمنافسة والصراع**

وأدى تحليل الخرافة البرجوازية والاصـــلاحية التى تقول أن الماركسـية أصبحت عتيقة الى أن تصل مجموعة البحث الى نتيجة مفادها أن هذه الخرافة تقوم عمليا على انكار **تطور الماركسية** ، انكار اســهام لينين البارز فى تطوير الماركسية • ويظل « علماء الماركسية » البرجوازيون والاشتراكيون الديمقراطيون التحريفيون يرددون بعناد أن اللينينية ظاهرة روسية خاصة ، ليست لها أية دلالة بالنسبة للبلدان الاخرى • وأشد مايبرز فى هذا الزعم هو الرفض القاطع لفهم حقيقة واضحة هي أن لينين لم يطبق الماركسية على ظروف روسيا الخاصة فحسب ، بل انه طور **كل الاجزاء المكونة للماركسية** تطويرا خلاقا •

والواقع أنها نظرة شاذة الى جوهر الماركســية تلك التى تدفع البعض الى الاصرار على أن نظرية لينين عن الامبريالية أو القانون الذى اكتشفه عن التطور المتفاوت للرأسمالية قاصران ــ من حيث دلالتهما العلمية والعملية ــ على اطار تطور روسيا السياسى ــ والاجتماعى • كما أن الزعم بأن تطوير لينين للفلسفة الماركسية وبخاصة تطويره الشامل للديالكتيك المادى باعتباره نظرية للتطـور والمنطق والمعرفة ليست له سوى أهمية اقليمية ، نظرة غير مفهومة بدرجة أكبر لجوهر التحليل النظرى عموما • وهذا أمر بعيد تماما عن أفكار ماركس وانجلز •

وتبين كل خبرة القرن العشرين التاريخية أن اللينينية هى الماركسية التي طورت باتساق وشمول فى كتابات لينين • فلا عجب أن يحاول خصوم الماركسية أن يضعوا ماركس موضع المعارضــة من لينين ، أى اســتبعاد اللينينية من الماركسية ، أو بعبارة أخرى قصر مضمون الماركسية على عصر ماركس وانجلز الذى يختلف بالطبع اختلافا أســاسيا عن العصر الحالى • وحين نتحـدث عن اللينينية فان مايدور فى ذهننا بالطبع ليس كتابات لينين وحدها ، وانما الاسهام الخلاق للاحزاب الشيوعية والمنظرين الماركسيين •

ولاحظ أعضاء مجموعة البحث أن القول بأن الماركسية وتراث لينين النظرى قد أصبحا « عتيقين » يحوى فكرة أخرى معادية للماركسية هى انكار الاهميـة التاريخية العالمية لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وتاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى والخبرة التاريخية والانجازات العظيمة للاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى •

وقد أكد اعضاء مجموعة البحث اننا حين نحتفل بالذكرى المائة والستين لمولد كارل ماركس نزداد فهما لعمق وصية لينين بأن **نستشير ماركس دائما** ويعنى هذا فى المقام الاول أن نتقن المنهاجية العلمية للفعل الثورى العملى والتفــكير

الثورى ، وأن نحذر تقليد العلماء الزائفين الذين يظلون « يكتشفون » حقائق أرستها الماركسية منذ أمد طويل • انه يعنى عدم تطبيق قوالب جاهزة على القضايا الجديدة التى يتطلب حلها طرح آراء ماركسية جديدة وتعريزها• فاستشاره ماركس تعنى ان نبقى مخاصين لمبادىء الماركسية وان تطبق هذه المبادىء تطبيقا خلاقا ، وتطور الآراء الماركسية ، ونضعها فى عبارات أكثر تحديدا . ان لكلمات لينين التاليه الدلاله ذاتها فى أيامنا « لابد للماركسى ان يعرف الحياة الواقعية ، الوقائع الحقة **للواقع** ، والا يتعلق بنظرية الامس » (المجلد ٢٤ ـ ص ٤٥)

قال ماركس وهو يلخص نقده للفلسفة السابقة « كان كل ماقام به الفلاسفة هو تفسير العالم بطرق مختلفة ، بيد أن القضية هى تغييره • ويشوه مفسرو الماركسية البرجوازية المعنى الحقيقى لهذه المسألة ويقولون أن ماركس (والماركسية عموما) ينكر ضرورة التفسير العلمى للعالم ، وبذا ينسبون اليه النزعة العملية الضيقة التى تعرضها ـ كما نعرف جميعا ـ النظريات النفعية البرجوازية • غير أن الواقع هو أن ماركس قد قدم ـ للمرة الاولى فى التاريخ ـ تفسيرا علميا للعملية التاريخية ـ الاجتماعية ، واكتشف قواها المحركة وقوانين تطورها وأثبت الضرورة الموضوعية للتمويل الشيوعى للعلاقات الاجتماعية • لكن ماركس كان ينتقد الباحثين الذين يقتصرون على فهم ماهو قائم ثم يقفون عند ذلك • وعلى عكس الفهم السلمى الذى يدعى التحزب للواقع الاجتماعى البرجوازى الذى يقهر الانسان ويشوهه طرح ماركس تفسيرا علميا لهذا الواقع يخدم تغيره الثورى ، وبالتالى فقد وضع العلم ، الفلسفة العلمية ، التى تدعم نظريا التمويل الثورى للعلاقات الاجتماعية « والمادية الجدلية والتاريخية هى بالتحديد مثل هذا العلم » موضع المعارضة من التأمل الفلسفى الذى يقتع بمجرد تفسيرها ، والذى يميل لهذا السبب الى تبرير ماهو قائم بدعوى أن له أساسا محددا فى الواقع ، وتاريخه الذى كثيرا مايكون طويلا وما الى ذلك • ولا تنكر موضوعية ماركس هذه دور النظرية بل تتطلب مستوى نظريا أعلى للبحث لاكتشاف قوانين التغير فى الواقع الاجتماعى ، ولصهر النظرية بالممارسة الثورية حتى يمكنه الارتفاع بالحركة السياسية العملية بدورها الى مرحلة جديدة ارقى•

وأكد أعضاء مجموعة البحث فى ختام مناقشتهم أن نظرية ماركس صمدت لمحك الزمن ، وأنها تتطور تطورا خلاقا على أساس الخبرة التاريخية الجديدة ، وأنها الآن ماتزال تمثل المرشد العلمى الوحيدللعمل فىالنضال ضد القهر والاستغلال •• وفى بناء التشكيلة الاجتماعية الشيوعية الجديدة • ان النظرية الماركسية التى لاتضىء فحسب ، حاضر البشرية بل تضىء مستقبلها كذلك نظرة علمية حية الى العالم ، ترتبط ارتباطا وثيقا بنضال كل القوى التقدمية من أجل أسمى مثل البشرية وأكثرها انسانية •

●

الفكر الاجتماعى عند على مبارك

بقلم : د. محمد عمارة



لقد قيل : عدل السلطان أنفع من خصب الزمان ! .. ولا عز للملك الا بالرجال ، ولا قوام للرجال الا بالمال ، ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة الا بالعـدل ! .. فأس المملكة وأركانها ، وثبات احوال الامة وبنيانها : العدل والانصاف ، سـواء كانت الدولة اسلامية او غير اسلامية !

على مبارك

المجتمع الفاضل ، عند علي مبارك ، هو مجتمع : العلم والعدل ! ‎··‎ لان حياة الانسان الروحية ، من حيث التدين ، مندرجة ــ وخاصة اذا كان مستنيرا بريئا من الخرافة ــ فى اطار العلم ‎··‎ فبالعلم يحقق الانسان ، كجنس ، ثراء الدنيا والآخرة ‎··‎ أما العدل فانه الضمان كي يكون هذا الثراء ، فى الدنيا ، عائدا الى مستحقيه وصناعه ، كما هو الحال مع ثراء الآخرة الذى يحكم فيه المولى سبحانه بالقسطاس المستقيم ‎··‎

والعدل عند مفكرنا الكبير نسبي ، وهو فى ذلك متفق مع كل المفكرين والباحثين ‎··‎ وهو أيضا عدل المرحلة التاريخية التى عاشها ، والمجتمع الذى ألقى بثقلة كي تعيشه مصر والشرق فى ذلك الحين ‎··‎ مرحلة التحول من اقطاع العصور الوسطى وتخلفها وظلماتها الى المجتمع البورجوازى الحديث والمستنير ، بكل ما كانت تبشر به الطبقة الوسطى من صور مجتمعها البورجوازى الجديد المنشود ‎··‎ فلقد كانت تلك هى أحلام المستنيرين ودعاة التقدم ، فى مجتمع لم يكن الفكر الاشتراكى ، أو تطبيقاته ، قد أصبحت فيه بعد قضية مطروحة على الناس والحياة ‎··‎

ولقد تصور علي مبارك ، المفكر ، هذا المجتمع المنشود فى صورة حديثة لمجتمع (المدينة الفاضلة) الذى كتب عنه أبو نصر الفارابى (٢٦٠ ــ ٣٣٩ هـ ٨٧٤ ــ ٩٥٠ م) ومن نحا نحوه من المفكرين القدماء ‎··‎

فالسياسة فيه أقسامها أربعة :

١ ــ سياسة الانسان نفسه ، وهو ما سماه أسلافنا الفلاسفة بعلم الاخلاق ، وما أسماه آخرون منهم بالتصوف الظاهر ‎··‎

٢ ــ وسياسة الاسرة لمنزلها ، من حيث نظامه وتنظيمه وتدبير السير فيه وفى موارده ومصارفه ، وتربية ناشئيه ‎·‎

٣ ــ وسياسة المدينة ، باعتبارها المنزل العام للاسر القاطنة فيها ، والصورة المصغرة للدولة والامة ‎··‎

٤ ــ وسياسة القطر ، أى الدولة والامة ، وهى السياسة العامة والكبرى فى هذه الاقسام ‎··‎

ولا بد لسياسة فى هذا المجتمع من قانون يضبطها ويحكم جوانبها ويحدد الاختصاصات فيها ويوزع الادوار على القائمين بالشئون ‎··‎ وهذا القانون ان خرج عن دائرة الفكر والتفكير والتعقل والصنعة الانسانية ، سمى وحيا ودينا ‎··‎ أما ان جاء ثمرة « لاجالة الفكر ، وتدقيق النظر ، ومقارنة الاحوال وموازنة العواقب » فانه يسمى « بالحكمة العملية » ــ فى مقابلة « الحكمة العلمية » ، لان أهله ــ الحكماء ــ يتخيرون من نصوصه ومواده وقواعده « ما كان أسهل

مسلكا ، وأعلى غاية ، وأبعد من شوائب الفساد ، وأقرب الى الضبط ، وأجمع للخير ·· وما تطابقت عليه الآراء ·· »

وسواء أكان القانون وحيا ودينا ، أو كان حكمة عملية وضعها وتخيرها الحكماء ، فلابد له من علل تحكم ترجيح الاخذ به وتقديمه على سواء ، كما لابد له من أصول مستحسنة لدى الجماعة التى يسن لها هذا القانون « ·· فالقوانين العامة التى يراد بقاؤها على مرور الزمان يجب أن تكون ملحوظة الاصـــــول والفروع بلواحظ الاستحسان ، وأن تكون مربوطة بعلل صحيحـــة وأغراض حميدة يفهمها كل أحد ، ويرى أن لا سداد لاعماله وحسن حاله ومآله الا بالركون اليها والتمويل عليها ·· » .

والمحور الاكبر الذى يميز صلاح القوانين من فسادها هو مدى تحقيقها للغاية الاولى والاساسية والكبرى فى هذا الوجود ، وهى حفظ حياة الانسان ، بكل ما تتطلبه من فروع وتفصيلات ، ذلك « أن مدار أمر الحى على ما يحفظ به حياته ، أصلا وتوابع ، فكل أمر له دخل فى ذلك فهو محبوب مطلوب ، وكل أمر أوجب فيه نوعا من الفساد فهو مبغوض ! » ··

والعالم ، عند على مبارك ، كما هو عند أصحاب (المـــدينة الفاضلة) « شخص واحد ، ذو أعضاء ! » ·· وفى هذا العالم مصالح خاصة ومصالح عامة ·· ولابد من تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة ، عند التعـــــارض ، خصوصا وأن المصالح العامة ، اذا دققنا النظر وأنصفنا ، تتضمن فى داخلها المصالح الخاصة ! ·· **وعلى الموقف من هذه القضية ، قضية العلاقة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة ، وتغليب أى منهما على الاخرى ، يتوقف الصـــلاح والفساد فى هذا العالم ·· « فاذا نظر فى أحكام المصالح العامة وتأييدها وتمتين قواها كانت المصالح الخاصة تابعة لها ، جارية على منهاجها ، ومتى كان النظر مقصورا على المصالح الخاصة نجم الفسادواستحكم ، ولميتم أمر مصلحة لما يكون فى الاستئثار من المباغضة والمشاحنة ! » (١)**

وحتى يتحقق هذا المجتمع « القانونى » الملتزم بالقانون ، فلابد أن يكون الحاكم والمحكوم أمام هذا القانون سواء ، بل وأن يكون خضوع الحاكم للقانون مقدما على طلب الخضوع له من المحكوم ، فالقدوة أولا ! ·· « فالواجب على ولاة الامور ألا يقطعوا فى حكم الا من القانون ؛ لانهم متصرفون فى الملك وفــق الشريعة ··· ولهذا لا يصلح لولاية الامر الا من قطع عن الطمع أمله ، ووافق قوله عمله ، وكذلك عماله ونوابه ·· والا كان كما قيل :

ومن يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب ؟

---

(١) (علم الدين) المسامرة السادسة والثمانون (تعدد الزوجات) .

ولا يكفى أن يحكم المجتمع قانون ·· اذ لابد أن يكون هذا القانون عادلا « لانه بغير العدل لا يتم صلاح ·· ولولاه ما قدر مصل على صلاته ، ولا عالم على نشر علمه ، ولا تاجر على سفره ، وهو صفة فى الذات تقتضى المساواة ، وهذه الصفة أكمل الفضائل ، لشمول أثرها ، وعموم نفعها ، واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسم : « بالعدل قامت السماوات والارض » ·· ولم يخلق الله تعالى أحلى مذاقا من العدل ، ولا أمر من الجور (١) ··

لكننا ونحن ننظر فى هذا الفكر الاجتماعى لعلى مبارك ، الذى تتكرر فيه مصطلحات : « العدل » و « المساواة » ، يجب أن نحذر فهم هذه المصطلحات على ضوء المفاهيم السائدة فى عصرنا نحن ومجتمعنا ، بل يجب رد معانيها ومضامينها كى تتحدد فى اطار نصوصه كلها ، وعلى هدى من تجربة مجتمعه وأهداف الجيل المستنير الذى كان أحد مفكريه ومصلحيه ·· فهى من مصطلحات الفكر البورجوازى ، الذى كان متقدما وتقدميا وثوريا فى تلك المرحلة التاريخية ، وليست ، على وجه القطع والتحديد ، من مصطلحات الفكر الاشتراكى ، ولا تمثل أوعية لمضامينها فى فكرنا الاشتراكى الحديث ··

فالاشتراكية تسعى الى مجتمع غير طبقى ، يكون التمايز ، المحدود ، فيه بناء على معيار العمل وحده ، ويقوم هذا التمايز فى اطار المجتمع كله كطبقة واحدة · بعد أن ينتهى التعدد والتناقض ومن باب أولى ، الصراع بين الطبقات ·· على حين لا نجد فى نصوص على مبارك ما يشير من قريب أو بعيد الى تبنى مثل هذه الفلسفات والمفاهيم ··

وفى النصوص التى تحدث فيها على مبارك عن الفكر الاجتماعى ، وتطوره التاريخى ، نجد أنفسنا حيال صياغات تقدم عددا من الافكار ··

● فالطبقات قد ظهرت كثمرة لاختلاف نوع العمل ، فهناك عمل ذهنى ، وآخر يدوى ، ومن هنا نشأ التفاوت فى الثروات ، وكانت نشأة الطبقات ·· وما تسميه الاشتراكية صراعا طبقيا ، مشروعا ، بل وواجبا على الاشتراكيين والثوار تغذيته ، نجد اسمه في هذه النصوص « تحاسدا وتباغضا وعداء ! » ·· ومن ثم فان الدولة ، كجهاز قمع وقهر ، ضرورى لحراسة هذا التفاوت وكبح جماح الحاسدين ! ·· واذا لم يكف جهاز الدولة ، ولم تنهض القوانين بتلك المهمة على النحو الامثل ، فلابد من الاستعانة بالوعاظ والداعين الى الزهد والقناعة كى يسهموا فى تخفيف الحسد والبغض والعداء الذى يوجهه الادنون الى الاعلين !! ·· انه مجتمع يقر الطبقية ، ويكرسها ، ويبحث عن الوسائل لحمايتها من الساعين الى الغائها ؟! ··

---

(١) المصدر السابق · المسامرة الثامنة والثمانون (الفلاحة والزراعة) ·

تقول هذه النصوص : « ان ادارة الاعمال الدنيوية محتاجة الى عملين ، عمل بالابدان وعمل بالارواح · وقد فاوت الصنع الربانى بين الناس ، فجعل بعضهم أذكياء ، والبعض أغبياء ، وكفل بعضهم بعضا ، فكان اشتغال أذكياء الناس بالفكر فى مصالحهم وتدبير ما تحسن به أحوالهم ، فلزم فى مقابلة هذه الخدمة الروحانية أن يخدمهم بقية الناس بأبدانهم ، ويريحوهم من تجشم الكلف فى تحصيل مؤنهم ، فظهر الفقر والغناء ، وبموجب ذلك نجم بينهم التحاسد والتباغض والتعادى ·· فعند ذلك وجب وضع القوانين وتجنيد الجنود ووضع القلاع والحصون وتصوير آلات القتل لتحاجز الناس بعضهم عن بعض · ولزوم عمله الذى استعد له ··· ولم تكن القوانين الحكمية — (الوضعية) — كافية فى حسن صحابة بعضهم بعضا ، لكونها تتعلق بظواهر الاحوال ومشاهداتها ، فيتعين لذلك وجود طائفة من الناس يتكلمون بمثالب الدنيا وعيوبها ويزهدون فيها وينهون عن شدة التزاحم عليها ، ليثبت أهل القلة فيها على أشغالهم الشاقة التى لاجلها خلقوا ، ولا يبذلوا قواهم فى معارضة المكثرين ومضاربتهم ، فتبين من ذلك أن أعمال الناس وظائف خدمة مقسمة على طوائفهم ، لا يصح أن يفاضل بين أهل وظيفة وغيرها ، وانما المفاضلة بين أشخاص كل وظيفة ، فمن قام بوظيفته حق القيام بها ، مقتصدا دون افراط وتفريط ، كان محمودا ، ومن مال الى أحد الطرفين كان مذموما بقدر ميله ! ·· »

فنحن هنا أمام نص :

١ — يقسم العمل الى : فكرى ، ويدوى ·· ويرى فى ذلك المنشأ للتفاوت الطبقى ·· ويسمى الطبقة : « وظيفة » ! ··

٢ — يدعو الى أن تكون المفاضلة ، والتقدم والتأخر ، بناء على العمل ، وفى داخل اطار « الوظيفة » ، أى الطبقة ·· ولا يصح أن يمد أهل طبقة عيونهم الى ما تمتع به أهل طبقة أخرى ! ··

٣ — والحارس لذلك هو جهاز الدولة وقوانينها الوضعية ·· ولما لم تكف فى كبح جماح التحاسد والتباغض والتعادى ، جاءت القوانين الدينية ، ووعاظها والداعون الى الزهد وذم الدنيا ، فكرسوا جهودهم « لتثبيت أهل القلة على أشغالهم الشاقة ·· ويكفوا عن معارضة المكثرين ومضاربتهم ! »

لكن على مبارك لا يرى فى هذا المجتمع — الذى يصوره هذا النص — العدل الذى تحدث عنه ودعا اليه ·· لانه يرى أن وجود جهاز الدولة ، بمؤسساته القمعية القهرية ، ويرى فى استعانة هذا الجهاز بمؤسسات الوعظ والزهد وذم الدنيا ، الدليل على افتقاد العدل والانصاف ، فيحدثنا فى نفس النص — هذه ·· يقول : « ·· ولو سلك الناس سبيل الانصاف لم يحتاجوا الى شيء من عن أن الناس لو انحازوا الى العدل وحققوا الانصاف لما احتاجوا الى أجهزة القمع ذلك ، كما قيل :

لو أنصف الناس استراح القاضي   وبات كل عن أخيه راضي ! (١) »

في رأينا أن علي مبارك ، في هذا النص قد قدم وصفا وتفسيرا للواقع الاجتماعي التاريخي الذي قسم المجتمع الى طبقات ، والذي أفرز جهاز الدولة ومؤسسات الوعظ لتكريس مظالم ذلك الواقع .. فهـــو هنا يصف ويفسر واقعا تاريخيا .. ثم ينبه علي أن في العدل الغناء عن أجهـزة القمــع والقهر والوعظ والارشاد ! ..

● لكن الرجل يظل في اطار الفكر البورجوازي ، ومع المجتمع الطبقي شريطة أن يكون عادلا ، أي أن يكون التفاوت فيه بناء على « العمل » ، وليس راجعا الى نظام الاقطاع وقيم العصور الوسطى .. ومن هنا كان تقديمه علوم التجارة والصناعة كي تأخذ مكانها بين العلوم الشريفة ، على حين قصر الاقطاع وعصوره الوســـطى الشرف فقط علي علـــوم الدين .. ومن هنا أيضا كان حديثه عن التجارة والصناعة ، كمهنة وحرفة ، باعتبارها من المهن والحرف الشريفة ، وتفضيله للعرب والمسلمين علي اليونان ، لان العرب لم يأنفوا الصناعات ، بينما رأى اليونان فيها مهنا لاتليق الا بالارقاء فنحن « اذا تتبعنا أحـــوال متقدمي الاسلام ومشاهير امرائه والحـــكام لم نجد أحدا منهم الا وله حرفة يتقوت منها أو صـــنعة لايستغنى في معيشته عنها ، علمية كانت أو عملية .. وحيث كان القرآن حاثا على العمل والسعي في طلب الرزق حتى كاد يعد فرضا ، خصوصا وقد مدح التجارة والصناعة ، ولم يبق عند العرب أوهام بالنسبة لاتضاع الصنعة وشرفها ، فلم نكن أحد منهم يرى أنه أشرف من غيره ، ولا أنه قروي وذاك مـــدني ولا أنه فقير وذاك غنى .. فكانت الصنائع تشرف بهم لا أنهم يشرفون بها ! (٢) ..

فكل الصنائع شريفة ، ولا فضل للمدينة وأهلها على الريف وأهله ..وتلك قيمة جديدة من قيم مجتمع جديد ، وقسمة جديدة في فكر اجتماعي جديد .

● وفي هذا المجتمع كان المصلحون يتطلعون الى التقدم ، والى اســهام أصحاب رءوس الاموال والمدخرات في تكوين الشركات المساهمة لتصنع في اقتصادنا ما صنعت مثيلاتها في أوربا البورجوزاية .. والشيخ « علم الدين » — (بطل رواية على مبارك ، التي تحمل نفس الاسم) — عندما أبصر في ميناء مرسيليا اثر تلك الشركات ، دون ملاحظاته ، وبعث بها الى زوجته ، وتمنى أن يحدث ذلك في بلاده .. يحدث زوجته عن مشـــاهداته على أرصفة ميناء مرسيليا فيقول : « .. ورأيت على الارصفة مخازن .. قد بناها ،

---

(١) المصدر السابق . المسامرة الثانية والخمسون (ذم الدنيا ومدحها) .
(١) المصدر السابق . المسامرة العشرون (العرب) .

باذن الحكومة ، جماعة من مشاهير القوم وأغنيائهم ، اجتمعوا وعقدوا بينهم جمعية اشتراك على رأس مال قرره للصرف على انشائها ، يدفع منه فى كل سنة جزء على التدريج ، الى تمام تسع وتسعين سنة .. ومعظم أعمالهم الجسيمة تتم بهذه الكيفية .. وأصل مال الشركة المذكورة عشرون مليونا من الفرنكات ، تعدل ٨٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزى من النقود المصرية ، قسموه على أربعين الف منهم ، فخص كل منهم خمسمائة فرنك (١) ! .. »

وتلك قسمة ، تطبيقية ، من قسمات ذلك المجتمع الجديد ، تضع يدنا على نوع فكره الاجتماعى الجديد ..
بل لقد دعا على مبارك الى أن تسلك مصر ذلك الطريق ، ومارس ، عمليا ، وضع هذه الافكار فى التطبيق عندما تولى نظارة الاشغال .

● وأيضا .. فان الرجل وهو يختار هذا الموقف الاجتماعى ، ويدعو الى مجتمع بورجوازى جديد ، يعلى من قيمة العمل ، وينشد قدرا من العدل النسبى ، فى اطار طبقات تتخذ من العمل والحرف والصناعات مجـــــالا لتنافسها .. قد :

١ ـ وجه نقده الى فكرة « الاشتراك العام فى الثروة والاموال » ، على نحو مايدعو اليه الاشتراكيون .. وذلك عندما عرض بالنقد والاتهام « لمزدك والمزدكية » ..

٢ ـ ووجه نيران هجومه لكل قيم المجتمع الاقطاعى وبقايا أفكار طبقاته وأصحابه ومفكريه ، على نحو يقطع بعدائه الشديد له ..

فهو اذن ، مع مصلحى عصره ، والجيل المستنير الذى بدأ برفاعة الطهطاوى « ١٨٠١ ـ ١٨٨٣ » قد رأوا فى المجتمع البورجوازى المستنير ، المهمة التى يجب الكفاح من أجل الانتقال بالبلاد اليها ، لان النجــاح فيها يعنى التخلص من بقايا العصور الوسطى ، وتحقيق النموذج الاوربى ، ســواء فى التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو فى الاستنارة والتنوير ، دونما تعـــــارض مع الموروثات الثابتة وغير الدخيلة فى تراثنا الفكرى والدينى ..

وهم فى موقفهم هذا كانوا طلائع التقدم فى ذلك التاريخ .. على الرغم من تصورهم غير السليم للاشتراكية ، وحديثهم الناقد ، فى ظلم ، لاســـاس الفلسفة الجماعية عند الاشتراكيين .. (٢)

---

(١) المصدر السابق • المسامرة الخامسة والثلاثون (كتاب علم الدين) •
(٢) انظر الفصل الذى كتبناه عن الفكر الاجتماعى لرفاعة الطهطاوى • ص ١٧٥ ـ ١٩٩ من الجزء الاول من (اعماله الكاملة) طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م •

أما نقد على مبارك لمزدك والمزدكية ، فيقول : « انه فى زمن الملك قباذ ـ (٥٣١ م) والدكسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩ م) ـ حدثت فتنة .. وكان سببها أن ظهر فى أيامه رجل زنديق يقال له مزدك .. أحدث مقالات فى اباحة الفروج والاموال ، وقال : ان الناس فى ذلك سواء ، لانهم جميعا أولاد آدم وحواء . وحرم سفك الدم ، وأكل اللحم ، فاتبعه خلق كثير .. وكان الملك قباذ ممن تبعه .. فلما مات قباذ ، وقعد ابنه كسرى أنو شروان على التخت مكانه ، جمع جميع خواصه ليعاهدهم ، فكان مما قاله لهم : انى اشهدكم على انى لا أدع أحدا من المزدكية الا قتلته ، لانهم اباحوا نساء الناس وأموالهم وجعلوها مشتركة بينهم .. حتى اختلط أسافل الناس بعناصر الكرماء ! (١) .. »

أما هجوم على مبارك على قيم المجتمع الاقطاعى وأفكار العصور الوسطى ، فاننا نجدها فى أغلب ماكتب من فصول وصفحات ، وفى كل موطن بشر فيه يقيم العصر الحديث والمجتمع الجديد .. فهو :

١ ـ ينتقد الارستقراطية الجاهلة :

وكانت تتألف أغلبيتها بمصر ، يومئذ من الشراكسة والاتراك .. ويتحدث عن ترحيبها بمصاهرة الجهال ، اذا كانوا أثرياء ، وأنفتها من مصاهرة العلماء اذا كانوا ، فى الماء ، فقراء .. وما ذلك الا لجهلها بقيمة العلم ومكانته ، ومن ثم عدائها له ولاهله « لان الانسان عدو ما جهله ، ومن جهل شيئا عاداه ! (٢) .. »

كما يتحدث عن مظهر عام من مظاهر سفه هذه الارستقراطية ، وسمة من سمات جهلها ، يتجليان فى الاسراف وكثرة البذخ وزيادة الاستهلاك .. فهى تظن أن زيادة الاستهلاك فى المجتمع دليل ثرائه !.. وعلى مبارك يدين تلك الافكار الجاهلة ، وينكر أن يكون الاستهلاك الكثير عنوان ثراء للمجتمع، لانه استهلاك قلة من المجتمع وليس استهلاك المجتمع كله ، فهو صفة لهذه الطبقة أو الشريحة الاجتماعية لا يصح تعميمها على بقية الطبقات .. ثم يقدم لنا المعيار الذى يراه صادقا فى الدلالة على مدى ثراء المجتمع ، **وهو كثرة العاملين المنتجين ، لا كثرة الاستهلاك !** بل ان كثرة العاملين المنتجين ، عند على مبارك ، هى مقياس الكثرة العددية للامة ، فالامة الاكثر عددا فى العاملين المنتجين هى الاكثر عددا حتى ولو قل عدد سكانها عن نظيرتها التى تعج بالسكان الكثيرين وتفتقر الى العاملين المنتجين ! .. يقول على مبارك :

---

(١) (علم الدين) المسامرة الحادية والثمانون (باريس) . وانظر نفس الفكرة عند الطهطاوى ص ٥٣٦ جـ ٣ من (اعماله الكاملة) .

(٢) المصدر السابق . المسامرة الثامنة والثمانون (الفلاحة والزراعة) .

« .. وقد توهم بعضهم أن كثرة الامة وقلتها تابع لما يستهلك ، قلة وكثرة أعنى أنه كلما كثر المستهلك كثرت الامة وكلما قل قلت ؛ وهـذا التوهم لا يسلم به الا لو اقتصر على ما لابد منه ــ (أى على استهلاك الضروريات) ــ والواقع غير ذلك . **فانا نرى القليل من الامة يصرف أضعاف ما يصرفه الكثير منها ، فاذا تأملنـا ذلك وجدنا معيار الثروة وعدمهـا تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة ــ (وكانت عصب كل الاقتصاد يومئذ) ــ وقلتهم ، فكلما كثروا أخصبوا ، وكلما قلوا أجدبوا ، فأى قوم لم يشـتغلوا بأمر الزراعة وتوابعها كانوا وبالا على الامة عموما وعلى المشتغلين بها خصوصا ، فحينئذ يجب على ولاة الامر التنبه لذلك ، وحمل أهل البطالة على العمل .. »**

فهو ضد ارستقراطية الجاهلة ، التى تزيد ، ببطالتها وبذخها ، المجتمع فقرا ، على حين تحسب أن فقرها هذا هو عين الثراء ! .

وتجدر الاشارة الى أن تهمة الاشتراك فى النساء ، التى نسبها عدد من المؤرخين للمزدكية ، ومن بعد الى القرامطة ، قد نفاها مؤخرون آخرون . وأغلب الظن أنهـا فرية من مؤرخى السلطة الذين كتبوا التاريخ من وجهـة نظر الطبقات المالكة والسلاطين .. فلقد كان للمزدكية أنصار وأتباع من العرب ، لا الفرس فقط ، وكان والد امرىء القيس ملكا عربيا هو وقـومه على مذهب مزدك ، وكذلك ابنه امرؤ القيس .. وكان مقتل أبيه انقلابا ضد هذا المذهب ، ولا يعقل أن يرضى العرب بمذهب تباح فيه فروج النسـاء !!

٢ ــ ويهاجم الالتزام فى الزراعة :

وكان أبرز أساليب العلاقات الاقطاعية فى الانتاج الزراعى قبل أن يدخل محمد على بمصر الى رحاب العصر الحديث ، يوم ألغى الالتزام وأحرق عقود الملتزمين ! .. وعلى مبارك يحدثنا كيف أصبح استغلال الملتزمين اشد من استغلال الحكومة ، وكيف أضحت مكاسب خزائنهم من عرق الفلاح وانتاجه اكثر تضخما من مكاسب خزائن السلاطين .. فالمقررات على القرى فى سنة ١٧٩٨ م (١٢١٣ هـ) كانت تتضاعف ، رغم أن « حق السلطان ومصاريف الناحية لم يزد فيها شىء ، بل الزيادة كانت فى رسوم الملتزمين ، ولو رجعنا الى ما كان يخص الملتزم من ذلك لرأيناه قريبا من أربعة أمثال ما كان يدخل خزينة السلطنة ، ومجموع الغرامات خمسة أمثال المخصص للسلطنة ! »

كما يهاجم السخرة فى الاعمال الفلاحية ومشاريع ضبط النيل ، ويدعو الى الغائها ، لاسباب انسانية ، بل ولاسباب اقتصادية تمثل فكرا بورجوازيا مستنيرا فيما يتعلق باقتصاديات العمالة . فعائد الاعمال التى ينجـــزها

الفلاحون بالسخره لا يوازى نقص انتاجية أرضهم نتيجة تركهم لها ، قسرا، الى مواطن العمل الذى يسخرون فيه ، ومن ثم فـان انجاز هذه الاعمال بواسطة الشركات ، والعمل الذى تحفز الاجور أصـــحابه هو أكثر فائدة وفعالية وانسانيه ، وأيضا أكثر اقتصادا .. ! ولقد كانت أغلب أعمـــال السخرة فى مشاريع الرى تتم فى فصل الشتاء « .. وهؤلاء العمال أكثرهم فقراء ، ليس لهم ما يقيهم المطر والبرد ، فتحملهم الشدة على الهـــــرب واستعمال أنواع من الحيل تخلصا من هذه الشدة ، خصوصا وهم ليسوا بمؤجرين ولا مختارين ، بل هم مساقون الى العمل مجانا واضطرارا ، فاذا هربوا جلبوهم ، أو غيرهم ، مرة أخرى بالضرب والاذى ، فينقادون حفاة عراة جياعا ، فيعانون من الاهوال مايعانون ، وتفوتهم أشغالهم الخصوصية والاشغال المنوطة بهم . **فما كأنهم الا قوما استوجبوا عليهم العقاب ، فهم يساقون الى العذاب الاليم !. على أننا ، بعد معاناة هذه المصاعب ومقاساة تلك المشاق، لا نجد الغاية المقصودة من جمعهم قد تحصلت ؟! (١) »** .

٣ ـ ويدافع عن الفلاحة والفلاحين :

فلا يمل هذا الدفاع ! .. لان الدفاع عن الفلاحة هو دفاع عن «قيمة العمل»، يعلى من شأنها ، وهجوم على « قيمة التبطـــل » التى كانت من مميزات عصر الاقطاع .. فعنده « **ان ثواب أعمال الانسان على قدر ماينتج للخلق من الفائدة خصوصا فى فن الفلاحة .. وما جاء الفساد الا من اهمال فن الفلاحة ، وميل الكثير الى الزهو والتعلق به ، وكثرة ما يســـتهلك ويصرف على القليــــل من الناس ! .. ان كل ما يستهلك فى أمر الزهو مضاد لمنفعة الامة ، فيلزم مدبر أمر الامة أن يصرف جميع همته فى توجيه أفكارها نحو البساطة والقناعة .. وأقوى أسباب تأخير الزراعة احتقار أهل الفلاحة ، وعدم الالتفات اليهم ، وترك التبصر فى احوالهم ، وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة ، من تسخير أهلها بالعسف والقهر ، والتعدى عليهم بما يقهقر حالهم ويفسد عليهم أعمـالهم ، والتغالى فى الزينة والزهو والاكباب على اللعب واللهو ، خلافا لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة ، فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة، بل أضر ، لان المحاربة ، وان كانت تضر بأرض الزراعة ، لا تضر بالامة ، وان أضرت فضررهما وقتى ! .. ان ولى الامر الذى يظلم أهل الفلاحة يكون كمن هدم أساس بيته بفأسه ! .. (٢) »**

---

(١) المصدر السابق . الباب الاول . فصل فيما يتعلق بالنيل وفروعه من تطهير وانشاء قناطر وجرف جسور ونحو ذلك .

(٢) (علم الدين) المسامرة الثامنة والثمانون (الفلاحة والزراعة) .

فهو يدافع عن مجتمع المنتجين ، ويدين مجتمع الارستقراطية الاقطاعية وقيمها ٠٠ وهو يشدد من دفاعه عن أهل الفلاحة ، لان أهل الفلاحة والفلاحين كانوا هم المصريون ٠٠ فلقد كانت كلمة : فلاح تعني : مصرى ، لان المصرى كان هو العامل المنتج ، على حين كانت الارستقراطية الشركسية التركية الكردية الارنئودية ٠٠ ألخ ٠٠ ألخ ٠٠ تمارس دور الاقطاعى الجاهل ، المغالى فى الزينة والزهو ، والمكب على اللهو واللعب بالثروة وبمقدرات البلاد٠

٤ ـ ويدعو الى تنظيم المصارف :

على النحو الذى رآه فى باريس ، حتى تتخلص البلاد من الاستغلال الربوى والفاحش الذى فاق كل التصورات ، والذى كان يمارسه « صيارفة حارة اليهود ! » ٠٠ فلقد كان سعر الفائدة ـ ويسميه الفرط ! ـ يصل الى ٤٪ شهريا ! ٠٠ أى ٤٨٪ سنويا ٠٠ فاذا جاء المزارع واقترض مائة جنيه ، كتب عليه صك الدين بمائة ، وتسلم نصف المبلغ تقريبا ! ٠٠ وكانت أغلب القروض لقاء رهن أو ضمانة .. وعندما يعجز عن السداد تتحول الى دين جديد « بفرط » جديد وشديد ! ٠٠ حتى ينتهى الامر ببيعه لرهنه ، ونزع ملكيته عما يملك ٠٠

دعا على مبارك الى قيام المصارف التى تفك ضائقة المزارعين دون أن تصل بهم الى ما وصلوا اليه مع صيارفة حارة اليهود بالقاهرة ٠٠ وحتى لايضطرون الى بيع محاصيلهم ، قبل نضجها ، وبأبخس الاثمان ! (١)

٥ ـ ويسفه من أحلام المجتمع الاقطاعى :

ويسخر من قيمه التى تمجد الرضا بالدون ، والقناعة بالتافه ، وتزهد الناس فى التنافس على تحصيل المعالى وبلوغ درجات الترقى ، وتنظر للعلم نظرة ضيقة الافق وقفت به عند « الحكاكات والماحكات » التى برع فيها الازهريون وتجمد عندها الازهر ، وتحتقر الفلاحين وتهرب من العيش بينهم تاركة الجهل يفتك بهم ٠٠ يهاجم على مبارك كل هذه القيم والمثل الاقطاعية، ويقدم ، بديلا لها ، ((**قيمة العمل المنتج والعلم النافع**)) سبيلا لتحصيل الثراء والغنى والتمتع بالنصيب المعتدل والمشروع من طيبات هذه الحياة ٠٠

وفى رواية (علم الدين) نجد الشيخ قد تزوج وأنجب أولادا أربعة ، أضيفوا الى أخوته الثلاثة ، فغدت العائلة تسعة ٠٠ وهو يلازم « عمودا » بالجامع الازهر يعلم الطلاب عنده ، ولا يعلم الا عنده ! ٠٠ ومصدر رزق

(١) المصدر السابق ٠ المسامرة (١٠٣) (البورصة) ٠

الاسرة : جرايته من الازهر ، ونفحات أهل الخير له لقاء قراءة القرآن .. لكن كثرة عدد أفراد الاسرة ، وقلة الدخل ، جعلتهم يعيشون ضائقة مالية شديدة .. فالزوجة تبكى اذا انفردت بنفسها .. والزوج « علم الدين » يرى ثراء الجهال وبذخ العاطلين ، فيحزن ، ويتساءل .. ويتمرد عقله على المسلمات .. حتى ليخشى « الاعتراض » على السنة السائدة فيسرع مفوضا أمره الى مولاه ! ..

لكن الالم والحزن تظهر اثارهما على كل من علم الدين وزوجه .. ويتفجر الموقف ، وتتم المصارحة من خلال حوار تقود فيه الزوجة حملة ادانة لقيم المجتمع القديم ، مبشرة بقيم المجتمع الجديد .. حوار بدأته الزوجة فقالت :

ــ ان البكاء الذى عرانى ، والنحول الذى أعترانى ليس لك فيه سبب .

ــ وكيف ؟

ــ نظرت لفقر حالنا ، وكثرة عيالنا ، فأسفت من ضيق عيشهم فى حياتنا ، وخفت من سوء حالهم بعد مماتنا ، وذهلت عن قول الله تعالى : (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (١) ! ..) فهذا الذى أجرى عبرتى ، وأضرم لوعتى ، وأرجوك ألا تؤاخذنى فى ذلك ، فانك تعلم أن النساء أكثر من الرجال شفقة ، وأعظم منهم رأفة ورقة ! .

ــ ان الذى قام بفكرك قد أوقعنى الشيطان فيه من قبلك ! .. فأجدنى لا أدخل ولا أخرج الا حوقلت ، ولا أرى سوقا ولا بيتا مزخرفا الا استرجعت ، لما أراه من ضيق دويرتنا وشدة عيلتنا ، **وأرى الكثير من المنعمين فى الدنيا وشهواتها مجردين عن العلوم الشريفة وأدواتها وغالب أهل العلم والكمال فى معزل عن السعة والمال ، فأجد العلم مقرونا بالفقر ، والجهل ملازما للسعادة !** .. وأعتقد أن الصواب ما ورد فى الكتاب من قوله تعالى : (وبشر الصابرين) (٢) ، وأمثال ذلك ، لكن الحواس لا ترى الا ظواهر الاشياء ، والعقل ان لم تدرك صاحبه ألطاف ربه يحكم بما شاهدته وشهدت به ! .. فهذا الذى كان يعترينى فكنت أجتهد فى اخفائه عنك ، واسأل الله دواء لهذا الداء ، فانه وهن عظمى ، وأوهى جسمى ، وشغل فكرى ، وحيرنى فى أمرى ! ..

ــ ان أكابر الفضلاء والمتقدمين من الحكماء قد أطالوا القول فى مدح العلم

---

(١) هود : ٦ .
(٢) البقرة : ١٥٥ .

وأهله ، وربما جعلوه بابا للرزق وأصله ·· ولقد قيل في الامثال : « الجاهل عدو نفسه » ·· ومن كان عدو نفسه كان عدو ربه ·· **لكن هناك أشكال ! ·**

ــ وماهو ؟!..

ــ اذا كان العالم حبيب نفسه وحبيب ربه ، والجاهل عدو نفسه وربه ، كما قلنا ، ورأينا الغنى والسعة عند أهل الجهل ، والفقر والقلة مع أهل العلم والفضل ، كما تقـــول ، **فما الحكمة في ذلك ؟! ·· وكيف يكون الحبيب محروما من نعم حبيبه ، المتقلب فيها عدوه ؟! ··**

ــ هذا قضاء الله ، السابق في مكنون علمه ، وهو الفعـــال لما يريد ·· وانما علينا الصبر والرضا !

ــ مهلا ! فهذا شيء عرفناه قديما ، وفرغنا منه تعلما وتعليمـا ·· ان الله لا تخلو أفعاله عن أسرار علية ، وحكم خفية أو جلية ، فان الانســـان ، من خلقه ، اذا آتاه حظا عظيما من العقل وقدرا وافرا من الحكمة ، نجده ترفعت نفسه عن الباطل ، وتنزهت أفعاله عن العبث ، حتى لا يكاد يخلو حال مـن أحواله وشيء من أقواله وأفعاله عن حكمة ·· فما ظنك بالصانع القدير ؟! ·· فلا يحسن بنا اذا لم يظهر لنا السر من أفعاله بادىء بدء أن نقطع الامـــل من معرفته ، بل نطلب الحكمة على قدر الاستطاعة ، باشغال الفكر وأعمـــال البصيرة ·· وقد تقرر أن اليسير من فكر الجنان أفضل من كثير من عمـــل الاركان ! ··

ــ أما ما سألت عنه فللناس فيه أقوال كثيرة ، منها أن الله لما رزق العلماء ما زرقهم من كمال العقل والمعرفة والفضل جعل للجهلاء في مقـــابلة ذلك ما منحهم من رغد العيش وسعة المال وكثرة الغنى ·· لتعتدل القسمة ·

ــ هذه وجوه خطابية ! ·· لا تطرد في جميع الاحوال ·· فكم رأى الناس من عالم غني وفقير غبي ! ·· والذي يخطر بالبال أن العلم ليس من أسباب الفقر ، ولا الجهل من أسباب الغنى ، ولا ملازمة بين هذه الامور ، بل القضية على العكس ! ، والعلم أحد موجبات الغنى والسعة ، والجهل أحد أســـباب الفقر والضعة ، لولا عوارض وأسباب أخر ، غير العلم وغير الجهل ، وذلك أن الله سبحانه لما جعل هذه الدار موضع الكسب والسعي والاختيـــار ربط الامور فيها بأسباب عادية تحصل عندها وتوجد معها ، كحصول الشبع والري بالاكل والشرب ، وأمثال ذلك مما أجرى به العادة في خلقه ، ومن ثم أمرنا بالسعي والعمل ، لا بالبطالة والكسل ، كما قال تعالى : (فامشوا في مناكبها

وكلوا من رزقه (١)) ٠٠ ان أهل العلم ، ممن لا مال لهم ، لما قصروا جل أفكارهم على العلم ، أفيض عليهم ، كما أن من لا علم عندهم ، من أهل الغنى ، لما سعوا فى تحصيل المال ، أفيض عليهم ٠٠ نعم ٠٠ قد يرزق القاعد ، ويحرم الساعى ، لاسباب قد تعلم وقد لا تعلم ٠٠ الا أن كلامنا فى العموميات والكليات ، لا فى الخصوصيات والجزئيات ٠٠ فحق كل فريق من هذين الفريقين ، اذ أسف على حرمانه مما عند الآخر ، ألا يوجه اللوم الا على نفسه ويرحم الله من يقول :

وعاجز الرأى مضياع لفرصته ... حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

ـ أراك قد سقت الكلام الى حد أردت به توجيه الملامة على ، واتهامى بالتقصير فى الطلب ، وأن مانحن فيه من قلة المال وضيق الحال انما هو من تقصيرى فى الاخذ بالاسباب ! ٠٠

ـ ينبغى ألا يكون فى ذلك ارتياب !٠٠ وهانت قد حصلت من العلم ماتفلقت به آمالك ، ووصلت فيه مالم يصل أمثالك ، وأنت الآن فى صحة من جسمك ، وقوة من عقلك ٠٠ فماذا عليك لو أخذت لنا فيما يكون فيه حسن الحال وراحة البال من الرزق الحلال ؟! فتتخلص أنت وعيالك من ضيق المعيشة ٠٠ واقامتك فى الارياف ، على أى حالة ، أحسن ، لان النفقة هناك أقل ، والمؤنة أيسر ، والهواء أنقى وأحسن ، والصحة أكمل ٠ ومع ذلك ينتفع منك أهل البلد بتعليمك لهم أمر دينهم ، وتنتفع منهم أنت بما تستعين به على أمور المعيشة ٠٠

ـ أنا لم أترك تعليم العلم من حين وجدت فى نفسى القدرة على ذلك ! ، فانى مواظب على التدريس فى الجامع الازهر لطلبة العلم ٠

ـ ان احتياج أهل الريف للتعلم أكثر ، وليس فيهم مثلك يعلمهم ، وأما طلبة العلم فى الازهر فانهم يجدون كثيرا من العلماء يعلمونهم ٠٠ فاهل الريف أحوج اليك وأولى بك ٠

ـ لو علمت حال أهل الارياف ، وما هم عليه من الظلم والاجحاف ، لما رغبت فيه ، ولا رضيت به !٠٠ والعلم يزيد بالممارسة ، وينقص بعدمها ، فمع من تكون الممارسة ؟!

ـ ان ما ذكرته من سوء حال أهل الريف هو حجة لى عليك ، لا لك على ، فهم اذا أحوج الى مثلك ، يقوم بتعليمهم وتفهيمهم ، ان تعليمك المحتاجين

(١) الملك : ١٥ ٠

أكثر ثوابا مما أراك تقضي فيه عمرك وتشغل به أوقاتك ، من البحث والجدل! والقيل والقال ! والجواب والسؤال ! والحل والاشكال ! وأعترض ! وأجيب . وفيه نظر . ويرد عليه . وقد يقال . ولا يقال . ونحو ذلك مما انت عاكف عليه ومنهمك فيه ومقتصر على تعليمه لجماعة من الناس فى موضع معين من الجامع الازهر لا تتجاوزه ولا تتخطاه الى غيره ، كأنما جاء التنزيل والنص القاطع بأن العلم لايتجاوز ذلك الموضع من ذلك الجامع ؟!.. انك ترى كثيرا من جيراننا جهلاء بكثير من الامور الضرورية لهم فى دينهم .. ولا نجد من يعلمهم .. وتراهم على هذه الحال ولا تبالى بأمرهم ، وهم جيرانك وأخوانك ، وانت تعلم أنه لو قصد أحدهم الازهر ، على الفرض والتقدير، ووقف على دروس العلماء فيه ، فانه لايعقل مايقولون ، ولا ينتفـع بما يقررون ، فانهم يتكلمون بما لا يفهمه من الالفاظ الاصطلاحية .. ! .. لقد سأل عيسى رجلا : ما تصنع ؟ قال : أتعبد .. قال : من يعولك ؟ قال : أخى .. قال أخوك أعبد منك ؟! وقال عمر : لا يقعد أحـدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتهم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة !.. وكان الصحابة يتجرون فى البر والبحر ، ويغرسون ويعملون فى نخيلهم .. فما هذا التقاعد والتقاعس عن الكسب والسعى فى طلب الرزق؟! .. ومالك لا توسع على عيالك ؟! .. ومالى أراك تصرف جميع أوقاتك فى المطالعة والبطالة ؟!.. وهلا قسمت وقتك قسمين ، قسم تصرفه فى العلم والعبادة، والقسم الآخر فى طلب الرزق ؟!.. ان الدنيا دار تعب ، فكيف ترجو الراحة فيها ؟! .. والغنى نعمة من الله .. ولن يكون سببا لذم صاحبـه وصرف النظر عنه .. والبطالة هى المؤدية الى الفقر ، الموجبة للذلة والمسكنة طول العمر .. ان الغنى ، وان كان قد يؤدى الى بعض المضرات ، لكن نفعه أكثر من ضرره !

هكذا .. وعلى هذا النحو أدار على مبارك حوارا بين « علم الدين » وبين « زوجته » فى الرواية .. فكان علم الدين نموذجا لفكر المجتمع الاقطاعى وقيم العصور الوسطى ، على حين كانت زوجته الصورة الجديدة لفكر المجتمع الحديث .. فانتصرت لقيمة « العمل » ، وفضيلة « السعى » فى سبيل الغنى المشروع .. وأبرزت ميزة العلم النافع ، وغضت من شأن « الحكاكات والمماحكات » اللفظية التى وقف عندها شيوخ الازهر تحت أعمدة مسجده

وكان على مبارك ، بذلك ، ينتصر للقيم الاجتماعية الجديدة لمجتمع ما بعد مجتمع الاقطاع ..

•

● الثقافة والحضارة ●

بقلم : الكساندروتاناس

يأتي كتاب « الثقافة والحضارة » تعبيرا عن اهتمام مالفه الدائم بدراسة وتطوير الفرع الجديد نسبيا من فروع الفلسفة ـ فلسفة الثقافة . وبينما كان تاناس في أعماله الاخرى التي نشرت في السنوات العشر الاخيرة ، وهي : مقدمة في فلسفة الثقافة ، والثقافة والنزعة الانسانية ، والثقافة الاشتراكية فيرومانيا ، والحضارة الاشتراكية وقيمتها ـ يعالج الجوانب الفلسفية والجوانب المتصلة بعلم الثقافة لهذين المفهومين ، من زاوية الانسانية الاشتراكية ، فانه يحاول في كتابه الجديد تطوير مفهوم فلسفة الثقافة ، والنقطة المركزية لعمله هي المفهومان الاساسيان : الثقافة والحضارة . ويتناول في فصول كتابه الثلاثة القضايا المرتبطة بهما .

في الفصل الاول يحلل ا. تاناس مسالة تعريف مصطلح « الثقافة » الذي تتباين حوله الآراء كثيرا . فيوضح أنه يرى في الثقافة واقعا ذا علاقة بالادراك والقيم والابداع والتاصيل (انظر ص ٢٢) . وفي هذا الصدد يتناول المؤلف عددا من المصطلحات الاساسية ، التي يرتبط بها تعريف الثقافة ، مثل « الطبيعة » و « الانسان » و « المجتمع » ، وفي الوقت ذاته يحلل بصورة انتقادية مختلف الاتجاهات وحيدة الجانب ، الانتقادية أو التعميمية ، في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي . وثمة في هذا الفصل ايضا ، مكان بارز لتحليل الترابط بين الثقافة وبعض المفاهيم ، مثل « القيمة » ، « الحقيقة » ، « الابداع » ، « الممارسة » ، « الاعلام » ، « التوصل » ، « التوزيع » وذلك لان هذا التحليل ضروري للتوضيح الشامل لمفهوم الثقافة .

وفي الفصل الثاني يكرس المؤلف انتباهه لمسالة هامة للغاية ، وهي في الوقت نفسه واحدة من اكثر قضايا الفكر المعاصر اثارة للجدل ـ مسالة العلاقة المتبادلة بين الثقافة والحضارة . فمن المعروف أن كثيرا من المنظرين ، ومن بينهم منظرين يعتبرون حججا في هذا المجال ، قد دافعوا عن وجهة النظر الميتافيزيقية حول التناقض المستعصي بين المفهومين المذكورين . وعندما يعالج المؤلف المعايير الاجتماعية الاقتصادية ، والتكنيكية ، والثقافية ـ الانثروبولوجية ، والروحية لتعريف مفهوم « الحضارة » ،

فاناه يحذر من خطر التناول الاثنوجرافى أو التاريخى الضيق لمسألة الحضارة ، ويؤكد ان التفسير الماركسى للعلاقة بين الثقافة والحضارة لا يجمعه جامع بالتفسير وحيد الجانب المستند الى المثالية أو المادية الميكانيكية • فالثقافة والحضارة ، كما يقول أ• تاناس ، هما مفهومان متشابهان من حيث المحتوى الى حد كبير ، الا أنهما ليسا متماثلين (انظر ص ١٤٥) • وفى رده على من يقولون بوجود تضاد بين الثقافة والحضارة ، يبين المؤلف مستعينا بأساليب الجدل المادى ، أن الحضارة ليست سوى الثقافة فى الفعل ، ليست سوى جماع القيم الثقافية التى تقوم بوظائف اجتماعية محددة •

ولعل الفصل الثالث للكتاب ، الذى هو نوع من التاريخ المختصر للفكر الثقافى . يضع فى الاعتبار الخصوصيات السياسية والثقافية لحياة وتاريخ الشعب الرومانى ، لعله الاغنى بين مؤلفات أ• تاناس ، التى يعالج فيها مسألة الطريقة التى يفسر بها الفكر الرومانى قضايا الثقافة والحضارة ويركز المؤلف على أهم جوانب هذه المسألة، والتى استرعت فى الماضى وتسترعى اليوم انتباه المفكرين والفلاسفة الرومانيين •

وفى خاتمة هذه الدراسة يبحث المؤلف ، بصورة مفصلة ومقنعة ، فى العلاقات بين الثقافة الاشتراكية و « نوعية الحياة » ، ثم يدعم بالحجج الرأى المتفائل القائل بانه سوف يتم تداخل تدريجى بين الثقافة والحضارة ، كما ينعكس ذلك فى « نوعية الحياة » الآخذة فى الظهور فى المجتمع الاشتراكى •

ايلا بيكلانو اياتكو

● نيكولاى بريمو بالتعاون مع آن جويرين ، « ملف هيرسانت » ، باريس ، فرانسوا ماسبيرو ، ١٩٧٧ ـ ١٢٩ ص •

● « فتنة أمورى » السيطرة على الصحافة ، ملف عمال « باريزيان لبير » ، باريس ، المنشورات الاجتماعية ، ١٩٧٦ ، ٣٥٠ ص •

● « الصحافة اليومية بين الازمة والاصلاح ـ قضايا الادارة والتنظيم » ، بولونا ، سوسيتاادبريس المولينو ، ١٩٧٦ ، ١٢٥ ص •

مع استمرار الجدل حول « حرية الصحافة » و « التعدد فى الاعلام » و « استقلال الصحافة » وما الى ذلك يتركز اهتمام الرأى العام فى كثير من البلدان بشكل متزايد على وسائل الاعلام فى المجتمع البرجوازى ونشاطها اليومى •

وفى ثلاث كتب صدرت فى فرنساوايطاليا يستند عدد من الصحفيين والباحثين وعمال المطابع من مختلف الآراء السياسية الى الوقائع والى خبرتهم الذاتية كى يصوروا الوضع الحالى لوسائل الاعلام فى بلادهم•

ويبحث مؤلفو الكتاب الايطالى « الصحافة اليومية بين الازمة والاصلاح » وهم فريق من الباحثين فى قسم القانون فى جامعة فلورنسا ، القضايا الرئيسية التى تواجه الصحافة اليومية البرجوازية • وأيا كانت القضية التى يدرسونها فان مؤلفى الكتاب يعودون الى مسألة دمج الصحف • وهم يقولون أن تركيز وسائل الاعلام فى أيدى خاصة أو فى أيدى الاحتكارات أو منظمات تديرها الدولة لا يؤثر على كل عمل هيئات التحرير والطابعين والناشرين فى الاقطار الراسمالية فحسب ، وانما يؤثر تأثيرا ضارا على كثير من جوانب الحياة فى المجتمع البرجوازى • ويشير الكتاب الى المستوى الهائل لتركيز الصحف ويقول انه من بين ٨٠ صحيفة مسجلة رسميا فى ايطاليا مثلا تمثل ٢٠ صحيفة ٧٠٪ من التوزيع « الجزء الاكبر من هذه المطبوعات فى أيدى أربعة مجموعات خاصة كبيرة ومجموعتين تملكهما الدولة » • ويقول الصحفى الفرنسى نيكولاى بريمو فى «ملف هيرسانت» أن ٣٠٪ من الصحف الوطنية فى فرنسا يسيطر عليها فعلا رجل واحد هو روبرت هيرسانت الذى أطلق عليه الصحفيون لقب « شبرنجر فرنسا » • وبعبارة أخرى ، فان صناعة النشر ـ كجزء من الانتاج الراسمالى ـ تخضع لقوانين الرأسمالية ، يقول كتاب « الصحافةاليومية بين الازمة والاصلاح » : « وفى هذه الظروف فان الملاحظات عن التعدد لا يمكن

طبعا أن تكفل الوضع الحالى فى الصحافة اليومية ولا ، على الاقل ، أن توقف المزيد من التركيز » ٠

ويحكم رأس المال المالى والاحتكارات قبضتهم على وسائل الاعلام البرجوازية وجهاز الدعاية ٠ وفى الوقت نفسه تهيئ وسائل الاعلام كي تلائم مصالح رأسمالية الدولة الاحتكارية عن طريق تدخل الدولة فى سير العمل فى الصحافة ، وعلى سبيل المثال فقد طبقت فى كثير من الحالات تشريعا خاصا يقيد النشاط الصحفى (ويحلل كتاب « الصحافة اليومية بين الازمة والاصلاح » مثل هذا التشريع فى ايطاليا) ٠٠ وهكذا فان الرقابة المزدوجة ، السياسية والاقتصادية ، التى تمارسها الاحتكارات والدولة سمة هامة من سمات وسائل الاعلام اليوم ٠

ويستخدم الميكانيزم المعقد لهذه الرقابة الاعلان استخداما واسعا ٠ اما أسلوب هذه الرقابة الاول فهو الاعلان ٠ (ففى ايطاليا يبلغ دخل الاعلانات الذى تحصل عليه الصحف فى المتوسط ٥٠٪ من كل الربح ٠ ويتراوح الرقم فى العالم الرأسمالى بمجموعه بين ٦٠٪ و ٧٠٪) ٠

ويصف مؤلفو كتاب الاعلان بأنه « عنصر خطر لتحديد نشاط الصحافة » ، فهو يساعد على خلق « القفزات فى التوزيع التى تزيد قدرة القوى ، وتحطم الضعف عاجلا أم آجلا ، وفضلا عن هذا فان « سياسة خاصة تطبق على صحف معينة » ٠

ويقول الكتاب ان نفوذ مختلف الشركات، ملاك ورق الطباعة ووكالات الانباء الكبيرة وشركات توزيع المطبوعات ، هو من أدوات الضغط الاخرى ٠ ويضاعف ذلك الضغط على وسائل الاعلام مما يؤدى الى توحيد الرأى الذى يصفه الكتاب بأنه وضع مرضى ٠

وترتبط القبضة المالية والاقتصادية على وسائل الاعلام ارتباطا وثيقا بالسيطرة السياسية المباشرة ، فكثيرا ما لا يتورع أصحاب وسائل النشر الكبيرة عن شئ فى سبيل غرس افكارهم ، ويوضح هذا توضيحا جيدا كتاب نيكولا بريمو الذى يصف الاساليب التى استخدمها الفرنسى هيرسانت طيلة ثلاثين عاما من عمله الصحفى ٠ لقد كان رجل الاعمال هذا متعاونا مع النازى أثناء الحرب العالمية الثانية وأفلت عمليا من العقاب وهو شريك فى كثير من الصفقات المريبة ٠ وقد رفعت عليه كثير من الدعاوى بسبب فضائح صحيفة « لواتو جورنال » ولسرقة الاسرار الفنية من شركة ستروين لكنه أفلت منها دائما بفضل حماته غير المرئيين ، وفوق أمواج من الحرب الباردة أصبح مالكا لصحف مثل الفيجارو وفرانس سوار ، وهو يسيطر الآن على خمس الصحافة الفرنسية ٠٠ وفى عامى ١٩٧٥ و ١٩٧٦ دخل فى نزاع صاخب طويل مع هيئة تحرير باريس ـ نورماندى والفيجارو ٠ ورد هيرسانت بإغلاق واسع ، وعبارته المفضلة هى « المال أفضل من الشرف » ٠ وحين يدلى أحد بملاحظة عن أسلوبه يرد قائلا : « هذه ظاهرة طبيعية من ظواهر الديمقراطية » ٠

ويبين الكتاب أن سيطرة رجل واحد على الصحافة هى القاعدة وليس الاستثناء ٠ وعلى سبيل المثال يورد مؤلفو الكتاب الايطالى معطيات احصائية توضح أن ٤٠٪ من العاملين فى الصحف ودور النشر أقارب أو أصدقاء لرؤساء التحرير أو الناشرين أو المالكين ٠ وهم يقولون « ان الخداع والتسلط والامتياز تقود الى مزيد من الخداع والتسلط والامتياز » ٠ و « يلوح براية حرية الاعلام ستارا للمصالح التى تدفع النظام الاقتصادى للصحافة اليومية موضوعيا الى اتجاه مختلف تماما ٠

ولابد لمثل هذا الوضع أن يثير احتجاجا قويا من جانب القوى التقدمية ، وهى تبحث فى كثير من البلدان الراسمالية عن الوسيلة لاتباع سياسة وسائل اعلام جديدة وتقترح اصلاحات جذرية ٠ وأكثر من ينشط فى هذه الحملة هم الاحزاب الشيوعية والنقابات ٠ وتضرب الصحف الشيوعية المثل اذ تبقى مستقلة حقا عن رأس المال الكبير ٠

وفى بعض الاحيان يصبح النضال من أجل سياسة جديدة فى وسائل الاعلام بالغ

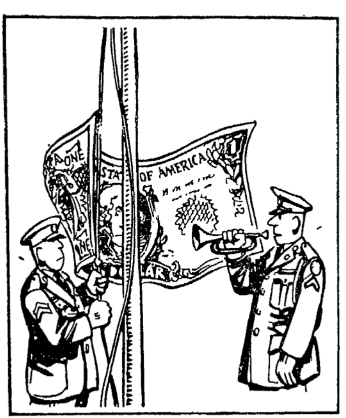
الحدة · ولنأخذ على سبيل المثال عملهيئة تحرير صحيفة « بارزيان ليبر » الذى يصفه كتاب « فتنة أمورى » وصفا حيا · ويستحق هذا الكتاب مزيدا منالتعليق التفصيلى وقد استعان مؤلفوه ، صحفيون وعمال طباعة

وغيرهم من العاملين ، فى كتابتهم فى دار نشر الحـــزب الشيوعى لمنشــورات الاجتماعية · ويصف الكتـــاب نزاعا من أطول النزاعات العمـــالية فى فرنسا فى السنوات الاخيرة ·· فقد رفض أمورى مالك « باريزيان ليبر » ، فى انتهاك صـــارخ لقوانين العمل ، رفض صراحة أن يتفاوض

مع الصحفيين وعمال الطبـــاعة الذين احتجوا على تخفيض الانتاج وعمليـــات الفصل الواسعة · ورد الصحفيون وعمال الطباعة باحتلال مطبعة « باريزيان ليبر »

وطالبوا باعادة رفاقهم المفصولين وانهـاء اضطهاد المسئولين النقـابيين ، وتغييـــر معدات الطباعة العتيقة ، وفرض الرقابةعلى قواعد المالك التعسفية ، وحظر نشر المـواد الرجعية · وازداد النزاع حدة وزاد مـــا يحظى به المضربون كما أكدوا هم أنفسهم ، من تأييد كل كادحى فرنسا ، ولقى الاحزاب الوطنى تضامنا مع « باريزيان ليبر » نجاحا كاملا ·

واستمر النزاع أكثر من عشرين شهرا · وبعد صدور هذا الكتاب استدعيت تعزيزات بوليسية لمساعدة الملاك · واقتحمت الشرطة المسلحة المطبعة وطردت المضربين · ولا شك فى أن هذا يؤكد ما كتبه الصحفيون عمـال الطباعة فى صحيفة « باريزيان ليبر » عنأنه « مازال علينا أن ننتزع حرية الصحافة » ·



حسب الطلب " صعود أو نزول "
عن مجلة " شيكاغو صن تايمز " " الولايات المتحدة "



● في الفن والثقافة ●

● شريط الأنباء ●

سينما المخرجات العرب

بقلم : سمير فريد

كانت علاقة المرأة العربية بالسينما حتى السنوات الاولى من السبعينات قاصرة على الوقوف امام الكاميرا كممثلة ، وذلك على الرغم من ان السينما المصرية ـ وهى اعرق وأكبر سينما عربية ـ بدأت على أيدى النساء فى العشرينات والثلاثينات مثل عزيزة امير وبهيجة حافظ وفاطمة رشدى وآسيا ومارى كوينى كمنتجات ومخرجات وليس فقط كممثلات . فقد أخرجت كل من عزيزة امير وبهيجة حافظ فيلمين واخرجت فاطمة رشدى فيلما .

ومنذ ذلك الحين لم تقف امراة مصرية وراء الكاميرا تخرج فيلما الا الممثلة المعروفة ماجده عام ١٩٦٦ ، وكان هذا الفيلم اقتباسا من الفيلم الامريكى « ذهب مع الريح » بعنوان « من احب » . وفى السنوات الاخيرة ظهر فى ميدان الافلام التسجيلية مخرجتين مصريتين هما عطيات الابنودى ومنى مجاهد ، وشهدت السنوات من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ ظهور أربع مخرجات من لبنان ومخرجتين من الجزائر فى ميدان الافلام التسجيلية أيضا .

ففى عام ١٩٧٤ أخرجت هينى سرور « دقت ساعة التحرير .. بره يا استعمار » ، وفى عام ١٩٧٦ أخرجت جوسلين صعب «لبنان فى الدوامة» ، وفى عام ١٩٧٧ اخرجت نبيهة لطفى « لان الجذور لن تموت » وفى عام ١٩٧٨ أخرجت رائدة شهال « خطوة .. خطوة » ، وكلهن لبنانيات . وفى عام ١٩٧٧ اخرجت الجزائرية فايزة بن سعد « تقرير المصير » ، وفى عام ١٩٧٨ أخرجت الجزائرية آسيا جبار « نوبة نساء جبل شنوه » .



● جوسلين صعب أثنــاء التصوير ●

والملاحظ عن هذه الافلام الستة انها أفلام سياسية راديكالية ، بكل معنى الكلمة . فقد اخرجت أفلامهم جوسلين صعب ونبيهة لطفى ورائدة شهال فيلما عن الحرب الاهلية فى لبنان ، وبينما تناولت فايزة بن سعد فى فيلمها قضية تقرير المصير فى الوطن العربى وافريقيا ، تناولت آسيا جبار فى فيلمها قضية المرأة الجزائرية . بل لقد صورت كل من هينى سرور وجوسلين صعب ورائدة شهال وسط القصف ، وانتقلت جوسلين من تصوير الحرب فى لبنان الى تصوير الحرب فى الصحراء العربية .

وهذه النزعة الى تناول موضوعات سياسية، والتعبير عن موقف راديكالى من هذه الموضوعات، والتعرض لخطر الاصابة ، بل والموت بتصوير المعارك الحربية ، دليل على ان المخرجات الست اللواتى ظهرن فى السنوات الاربع الاخيرة لم يدخلن ميدان الاخراج السينمائى لاضافة المزيد من الافلام التجارية ، وانما للمساهمة فى تطوير وتغيير واقع السينما العربية .

وعلى العكس من الكثير من نساء الادب العربى نجد نساء السينما العربية لا يتناولن موضوع علاقة الرجل بالمرأة ، فالواقع أن الانشغال بتناول هذا الموضوع انما يعكس استعباد الرجل للمرأة حتى وهى تدعى التحرر من هذا الاستعباد . تماما كالمخرج الافريقى الذى ينشغل بعلاقة الافريقى بالاوربى أو العكس . ويوم ما قال بول روبسون اننا نرفض فى أفلام هوليود الزنجى الشيطان والزنجى الملاك أيضا . ونفس المنطق ينطبق على شخصية المرأة فهى ليست ملاكا ولا شيطانا وانما هى انسان فى مجتمع .

● دقت ساعة التحرير :

يعتبر فيلم « دقت ساعة التحرير .. بره يا استعمار » ، وهو اول فيلم لمخرجته هينى

سرور ، أول فيلم تسجيلي في العالم عن ثورة الخليج العربي •

وقد استطاعت هيني سرور بهذا الفيلم ان تكسر الحصار الاعلامي المضروب حول هـذه الثورة مستخدمة كل وسائل السينما التسجيلية من اللقطات الوثائقية الى الصور الفوتوغرافية ، ومن التعليق الى الحوار الى الكتابة على الشاشة • وعلى الرغم من فقر المواد ، وصعوبة الحصول على المواد الافضل من هنا وهناك ، الا ان مخرجتنا نجحت في أن تقدم فيلما جيدا يعطي فكرة واضحة عن ما يحدث في هذه المنطقة الهامة من العالم •

ويكشف الفيلم الذي يستمد عنوانه من مطلع أغنية لمغني عدني عن دور الاستعمار البريطاني في تخلف المنطقة ، ثم دور الاستعمار الامريكي الذي يحاول أن يرث الاستعمار البريطاني بأشكال أخرى ، كما يكشف عن دور الثورة التي بدأت ضد الاستعمار ، وضد الرجعية المتعاونة مع الاستعمار ، وكيف تقاوم التخلف في كل المجالات من الصحة والتعليم ، الى الزراعة والتجارة • ثم كيف استطاعت الثورة أن تخلق امرأة جديدة في الخليج تمسك بالسلاح وتحرر وطنها بالعنف •

وبالطبع فان هذا الفيلم مثل كل الافلام الستة الاخرى ربما باستثناء فيلم آسيا جبار لا يمكن تقييم موقفه من الموضوع الذي يتناوله الا في وقت انتاجه ، فهي أفلام ـ مقالات او منشورات سياسية لها أهداف آنية محددة ومحدودة ، وليس هذا عيب في أي منها ، ولا فضل • انها أفلام تتحول الى وثائق وبمرور وقف انتاجها تتحول الى تاريخ •

● لبنان في الدوامة :

يعتبر فيلم « لبنان في الدوامة » اخراج جوسلين صعب أول فيلم تسجيلي عن الحرب الأهلية في لبنان • وقد عرض في مهرجان فلسطين الدولي الثاني لافلام وبرامج فلسطين عام ١٩٧٦ حيث فاز بجائزة اتحاد نقاد السينما العرب •

ولم يكن هذا الفيلم هو أول أفلام مخرجته • فقد اخرجت عام ١٩٧٤ فيلما عن ثورة ليبيا ، كما أخرجت فيلما عن احتلال الجولان ، وآخر عن قضية الاكراد في شمال العراق ، وثلاثة أفلام عن الثورة الفلسطينية هي « الفلسطينيون يتابعون » ، و « المنتحرون » و « المرأة الفلسطينية » •

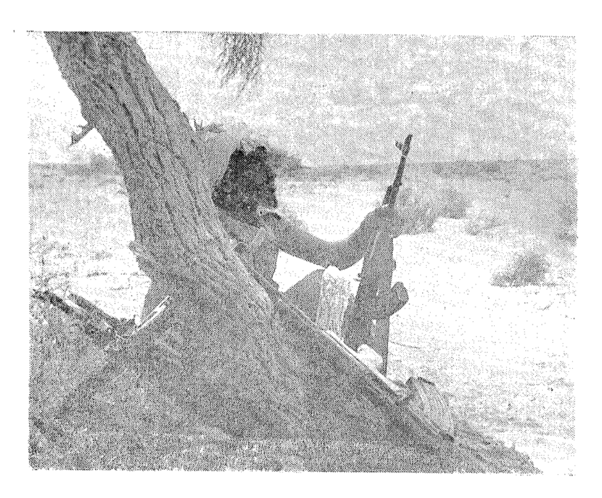
وبعد « لبنان في الدوامة » اخرجت جوسلين صعب ٥ أفلام أخرى عن الحرب اللبنانية هي « صليبيون للشرق الاوسط » و « بيروت لم تعد ابدا » و « أطفال الحرب » و « جنوب لبنان قصة ضعيفة محاصرة » و « حديث مع ريمون اده » • وأخيرا صورت فيلما عن مشكلة الصحراء العربية بعنوان «الصحراء لاتباع» •

وهكذا نجد أن جوسلين الصعب هي الوحيدة من بين كل السينمائيين العرب رجالا ونساء التي تحركت بكاميرتها الى مواقع الاحداث الهامة على صعيد الوطن العربي كله من العراق الى المغرب مرورا بمصر وسوريا ولبنان وليبيا ، انها تريد أن تكون في عصرها ، وتريد لافلامها أن تكون شهادات عن هذا العصر • وهذا النموذج من السينمائيين التسجيليين ـ نموذج يوريس ايفانس ورومان كارمن ـ هو ما كانت تفتقده السينما التسجيلية العربية دائما • وهي مثل زميلاتها من لبنان تنتج أفلامها بنفسها بالتعاون مع الهيئات والمؤسسات المختلفة •

وتعرض جوسلين صعب في « لبنان في الدوامة » وجهات نظر كل أطراف الصراع ، لا لكي تهرب من اتخاذ موقف ، أو لكي تدعي الحياد حيث لا مجال لمثل هذا الادعاء ، وانما لكي تتيح للمتفرج اتخاذ موقفه دون تعسف ، ولكي يكون لديها في نفس الوقت وثائق شاملة عن الموضوع الذي تتناوله لا تصلح فقط للتعبير الآني ، وانما للدراسات الشاملة في المستقبل أيضا • وهذا المنهج هو الذي اتبعته في أغلب الافلام التي اخرجتها عن المشاكل الساخنة •

● لان الجذور لن تموت

بدأت نبيهة لطفي حياتها الفنية قبل هيني سرور وجوسلين صعب ورانده شهال • فقد



● فيلم : خطوة .. خطوة ●

درست فى المعهد العالى للسينما بالقاهرة وأخرجت فى مركز الافلام التجريبية فيلما قصيرا بعنوان « صلاة » عام ١٩٧٢ . ولكن نبيهه لطفى ولدت من جديد مع بداية الحرب الاهلية فى وطنها الاصلى ، ومن خلال الفيلم الذى أخرجته عن مذبحة تل الزعتر بعنوان « لان الجذور لن تموت » أو « قصة ما حدث فى تل الزعتر » .

بدأت نبيهه لطفى تصوير هذا الفيلم فى أغسطس عام ١٩٧٥ كفيلم عن المرأة الفلسطينية العاملة حيث صورت أغلب المادة فى مخيم تل الزعتر ، فلما أبيد المخيم بعد أن تعرض لاكبر وابشع معارك الحرب اللبنانية ، غيرت الموضوع الى « قصة ما حدث فى تل الزعتر » واستكملت التصوير على هذا الاساس .

ويتميز فيلم « لان الجذور لن تموت » من بين كل الافلام التى تناولت مذبحة تل الزعتر بالبساطة العميقة ، والاحساس الانسانى ، دون محاولة استدرار الدموع ، أو اثارة الشفقة ، وانما ايقاظ الوعى على حقيقة اليمين الفاشى ، والى أى مدى يتجرد من الآدمية فى سبيل تحقيق أهدافه .

ويركز الفيلم على المرأة الفلسطينية ودورها أثناء المذبحة ، وبعدها من خلال الحديث مع مجموعة من نساء تل الزعتر الباقيات على قيد الحياة .

بدأت رانده شهال العمل فى أول أفلامها « خطوة .. خطوة » فى فبراير عام ١٩٧٦ ، وأتمته فى مارس ١٩٧٨ . وهو مثل أفلام زميلاتها فيلم تسجيلى طويل مصور على مقاس ١٦ م .

ويمتاز فيلم « خطوة .. خطوة » عن غيره من أفلام الحرب اللبنانية بمحاولته تحليل العلاقة بين الصراع الطبقى فى لبنان وبين الثورة الفلسطينية ، والربط بين ما يحدث فى لبنان ، وبين ما يحدث فى الوطن العربى . هذا فضلا عن التاريخ الدقيق للحرب منذ بدايتها الى دخول القوات السورية فى يونيو ١٩٧٦ ، واغتيال كمال جنبلاط فى مارس ١٩٧٧ .



● فيلم الصحراء لا تباع ● كل ثورة من الثورات .

ويعتمد الفيلم مثل الافلام الاخرى على مختلف وسائل السينما التسجيلية من وثائق وأحاديث وكتابات ولقطات حية ، ولكنه مثل كل هذه الافلام أيضا يفتقد الى الاسلوب الخاص الذى يتميز به ، اذ أن ما يفرق بين هذه الافلام هو أساسا المواقف السياسية لاصحابها . صحيح أن هذه المواقف تنعكس على الاسلوب لارتباطه بمنهج التحليل ، وبمدى فهم هذا المنهج وادراكه ، ولكن الوصول الى أسلوب خاص يرتبط بالنضج الكامل ، والرؤية المتكاملة ، وهو أمر ليس بالبعيد عن مخرجاتنا على أية حال كما يبدو بوضوح من أفلامهم الاولى .

● تقرير المصير :

تتناول فايزة بن سعد فى فيلمها التسجيلى القصير «تقرير المصير» الذى أنتجه التليفزيون الجزائرى ، وهو أول أفلامها ، قضية حق الشعوب فى تقرير مصيرها مع التركيز على حق الشعب الفلسطينى .

ويربط الفيلم بين الثورة الفلسطينية وبين الثورات الافريقية وثورات شعوب القارات الثلاث على نحو صحيح ، رغم أنه تجاهل الاختلافات الكبيرة بين قضية فلسطين والقضايا الاخرى مثلا ، ولم يوضح أيضا خصوصيات

● نوبة نساء جبل شنوه :

تعتبر آسيا جبار من أعلام الادب الجزائرى المعاصر برواياتها المعروفة منذ منتصف الخمسينات ، ولكن « نوبة نساء جبل شنوه » هو أول أفلامها ، وهو من انتاج التليفزيون الجزائرى أيضا . ويمزج الفيلم بين منهجى السينما الروائية والسينما التسجيلية ، فيعتمد على تصوير شخصيات حقيقية فى أماكن حقيقية ، ولكن فى اطار قصة درامية .

ولانني لم أشاهد الفيلم حتى الان اكتفى بحديث مخرجته عنه . تقول آسيا جبار فى حديث مع الناقد وليد شميط « الفيلم يطرح مشكلة بطلته ليلى فى هذا الشكل : امرأة وحدها ، تتحرك بمفردها ، تنظر بعمق ، تطرح نظرة خصبة على غيرها من النساء . وليلى التى تتجول بين نساء جبل شنوه بحثا عن الماضى ، انما هى تواجه الحاضر ، وتواجه الذات ، وتواجه الاخر .

وتقول آسيا جبار « ان نوبة النساء تعنى حكاية النساء اليومية ولكن النوبة أيضا نوع من السيمفونية فى الموسيقى الكلاسيكية المسماة أندلسية بحركاتها الايقاعية المحددة » .

الرقص لغة عالمية



استقبلت الجماهير فى منغوليا بحماس بالغ فرقة باخور الاوزبكستانية للرقص عندما قدمت عروضها فى مدينة دالان جاداجان فى جنوب منغوليا . وقد قدمت الفرقة الاوزبكستانية بنجاح باهر رقصة منغولية .

وكان برنامج الفرقة أصيلا ، وحيا ، ومتجددا على الدوام . وتميز أداء أفرادها بالتكنيك المتقدم مما جعلها واحدة من أعظم الفرق الفنية فى الاتحاد السوفييتى .

وبفضل فرقة باخور قدمت على المسرح لاول مرة عشرات الرقصات الاوزبكية . ويتضمن برنامج الفرقة حوالى ١٣٠ رقصة لشعوب الاتحاد السوفييتى والبلدان الاجنبية .

منذ ٢١ عاما مضت فاز ١٤ من خريجى معهد طشقند للرقص بجوائز المهرجان العالمى للشباب والطلبة فى موسكو . وكان هذا أول اعتراف بالفرقة الحديثة التكوين . ومنذ ذلك الوقت زاد عدد أفراد الفرقة حتى بلغ ٦٠ راقصا . وقد فازت فرقة باخور بعديد من الجوائز . ومؤسس الفرقة ومديرها الفنى الدائم هى مكرمة تورجونباييفا ، الراقصة السابقة ، وفنانة الشعب السوفييتى والحائزة على كثير من جوائز الدولة . وحازت هذه الفرقة على شهرة واسعة فى جميع أنحاء الاتحاد السوفييتى .

واستقبلت فرقة باخور للرقص بحماس فى عديد من البلدان الاجنبية . وقد شاركت الفرقة فى المهرجان العالمى الرابع للشباب والطلبة الذى عقد أخيرا فى كوبا ١٩٧٩

الحملة ضد الانفراج تزداد شراسة

رسالة وشنطن

يتخذ اثنان من الامريكيين مواقف تعتبر على طرفى نقيض . فأحدهما وهو السناتور جولدووتر يعتقد أنه لابد من مواصلة سباق التسلح ، بل والافضل من ذلك ، العودة الى أيام جون فوستر دالاس ، أى ، الى أيام تصعيد الحرب الباردة .. بينما يؤكد الآخر ، وهو السناتور جورج ماكجفرن انه ليست هناك قضية فى عصرنا الراهن أكثر الحاحا من ابطاء سباق التسلح وبالتالى وضع حد نهائى له . وقال أنه لا يشك لحظة واحدة فى أن الشعب السوفييتى الذى فقد عشرين مليونا من أبنائه فى الحرب العالمية الثانية يرغب باخلاص فى اقامة سلام دائم على كوكبنا .

فمن هو المصيب منهما ؟ أو لربما يعيش أناس مختلفون فى عوالم مختلفة ـ بعضهم يعيش فى عالم الواقع والآخرون فى عالم الاوهام ؟

وفى عشية دورة مجلس حلف الاطلنطى التى عقدت فى أواخر مايو أكد بولنت ايشيفيت رئيس وزراء تركيا : ((ان تركيا لا ترى أى تهديد يأتى من جانب الاتحاد السوفييتى)) . وبعد ذلك بيومين على وجه الدقة أجبر مجلس حلف الاطلنطى البلدان الاعضاء فى حلف شمال الاطلنطى على الموافقة على برنامج قياسى للانفاق على تحديث الاسلحة يتكلف حوالى ٨٠,٠٠٠ مليون دولار تحت ذريعة نغمة جديدة من نفس التهديد المزعوم .

والسناتور بارى جولد ووتر لم يقم أبدا بزيارة الاتحاد السوفييتى . وهو لايكترث على الاطلاق بهذا البلد الذى يبلغ عدد سكانه ٢٦٠ مليونا ، وبالاسهام العظيم الذى قدمه لحضارة العالم ، بما فى ذلك دوره فى انقاذ الولايات المتحدة وبقية البشرية من خطر الفاشية الرهيب ، ذلك الاسهام الذى كلفه ٢٠ مليونا من أرواح ابنائه . وبما انه سياسى ذو توجه محدد ، فانه فى حاجة الى تدريبات منتظمة فى العداء للسوفييت تسمح لاسمه بان يحتل العناوين الاولى فى الصحافة وفى الحقيقة فان ذلك نوع من الدعاية يثير

التساؤلات ! بيد أن الجانب القبيح فى تطلعاته يكمن فى حقيقة أنه يخاطب أناسا على رأس الحكومة تغريهم الفرصة على ابداء « تصلبهم » فى وقت يتضح فيه ضعف الحكومة على الجبهة الداخلية .

ومثل هذا النشاط فى تحالف مع « الصقور » ، لديه فرصة طيبة فى أن يكتسب قوة القصور الذاتى التى يصعب التغلب عليها ويتحول الى نهج سياسى خطر ودون ضابط لا يمكنه الا أن يثير رد فعل مضاد فى العالم .

وعلامات رد الفعل المتصاعد هذا واضحة، حتى فى الولايات المتحدة نفسها . فقد عبر أفريل هاريمان ، الدبلوماسى الامريكى المخضرم ، وعضو وفد الولايات المتحدة فى الدورة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة حول نزع السلاح ، عن خلافه القوى مع مخططات أعداء الانفراج . فقد قال أن هؤلاء الناس يشوشون عن عمد الرأى العام الامريكى . فليس هناك شعب فى العالم يمكن أن يكون له مصلحة فى المحافظة على السلام وأبعاد شبح الحرب النووية كالشعب السوفييتى ، الذى قدر له أن يتحمل كثيرا من التضحيات والمحن فى الحرب العالمية الثانية . وبشكل متميز عن بارى جولد ووتر ، يستطيع هاريمان أن يصدر حكمه على أساس الحقائق والآراء الموثوق بها . فقد كان سفير الولايات المتحدة فى موسكو خلال سنوات الحرب الكئيبة ، وزار الاتحاد السوفييتى فيما بعد أكثر من مرة ، احتمع خلال بعضها بليونيد بريجنيف . وبود المرء أن يعتقد بأن نداءه من أجل انتصار العقل سيشق طريقه خلال صرخات «الصقور» فى ردهات البيت الابيض .

وفى وقت يستغرق فيه الامريكيون فى تحليلات ذاتية امروا اى من المكتسبات القومية للانفراج لم يضحى بها بعد السياسيين ذوى الميول العدوانية ، من المهم بالنسبة للحكومات ودوائر الرأى العام فى البلدان الاخرى ، ان تبذل قصارى جهدها من أجل المحافظة على نتائج التحول التاريخى فى العلاقات الدولية . فمنذ اثنى عشرة عاما مضت عندما وصل الرئيس الفرنسى الراحل ديجول الى موسكو قال ان مئات الملايين من الناس يعلقون الامال على الحوار بين الشرق والغرب الذى بدأ حينذاك ، ولدى الاوربيين كل الحق فى أن يقولوا أن السنوات الاثنى عشرة الماضية قد غرست فيهم ثقة أكبر فى أفق السلام عن العقود التى راهن فيها دالاس وجولدووتر على « الانتقام الشامل » و « دفع الشيوعية الى الخلف » ، الخ .

فما هى أسباب نجاح سياسة الانفراج ؟ انها تكمن فى المحل الاول فى حقيقة أنه فتح امكانية التعايش بين النظامين الاجتماعيين ليس فى شكل التخلى البسيط عن حالة الحرب ، وانما فى شكل التعاون المثمر فى المجالات المختلفة .

والثمن الذى ينبغى على الناس أن يدفعوه للعودة الى أوهام سياسة القوة واضح تماما على خلفية التطورات الاخيرة . لقد سبق أن قلنا أن برنامج اعادة التسلح الذى فرض على البلدان الاعضاء فى حلف الاطلنطى سيجبرها على انفاق موارد مساوية المدخل القومى السنوى لدولة متوسطة على هذه الاغراض . ونظرة أوثق الى هذا البرنامج تسمح للمرء أن يرى بنوده التى يصعب ربطها بالافق البعيد المدى للانفراج فى المجال العسكرى . وعلى عكس صانعى الاساطير فى الغرب ، يبدو أن التصاعد الحقيقى للتهديد ينطلق من التحالفات السياسية العسكرية الغربية .

لقد حان الوقت لزعماء الحكومات والرأى العام فى غرب أوربا ان يدركوا أنه من المستحيل مواصلة السماح لبعض الناس بأن يقضوا على النتائج الطيبة التى تم التوصل اليها فى المجال الدولى خلال السنوات الاخيرة . ان تصريحات غالبية زعماء أوربا الغربية حول سياسة الانفراج لا تحوى أى انكار على الاطلاق لاهميته والضرورة الحيوية لمواصلته .

وقد قال المستشار الالماني الغربي هيلموت شميث من على منصة الدورة الخاصة الاخيرة للجمعية العامة أن هناك الآن ثقة متبادلة أكبر في أوربا بالمقارنة على أي وقت مضى في العقود الاخيرة . لكن لايكفي في هذه الظروف أن تقر بالحقائق فحسب . لقد حان الوقت للاستفادة من هذه الثقة لبناء حاجز قوي في وجه محاولات تخريب رصيدنا المشترك .

••

النفط والاحتكارات وأزمة الدولار

رسالة روما

غالبا مايواجه الاقتصاد اليوم الرأسمالية بصورة متزايدة بمهام لاتستطيع تحقيقها . لقد مضت خمس سنوات تقريبا منذ أن واجهت الولايات المتحدة والبلدان الرأسمالية الاخرى في خريف ١٩٧٣ ازمة نقص الوقود ، والتي صاحبها نمو في اسعار النفط ومشتقاته . وفي دوائر الحكومة الامريكية ورجال الاعمال اتضح في ذلك الوقت انه لابد من اتخاذ تدابير حازمة للتغلب على أزمة الطاقة ولخلق وفرة في الوقود خلال عشر سنوات .

وانقضت حوالي نصف هذه الفترة ، ومع ذلك فان صناعة انتاج الطاقة في الولايات المتحدة لم تعجز فحسب عن ايجاد حل للازمة ، وانما تخلفت كثيرا عن المستوى الذي سجلته في سنوات ما قبل الازمة . فخلال السنوات الخمس الاخيرة انتجت البلاد من الوقود مايقل ١٠٪ عن السنوات الخمس التي سبقتها . وعجزت بعض الزيادة في انتاج الفحم التي سجلتها هذه السنوات عن تعويض حتى نصف كمية العجز في النفط والغاز . ورغم انه يوجد في البلاد ، حسب الخبراء الامريكيين ، مابين ٢٠٠٠٠ر٢٠ الى ٠٠٠ر٥٠ مليون طن من مصادر النفط الكامنة فقد انخفضت الاحتياطيات الموقعة خلال السنوات الخمس الماضية ٢٠٪ ، وبلغت مع بداية ١٩٧٨ حوالي ٤٠٠٠ مليون طن ، بما في ذلك ألاسكا .

ولقد تخطت النتائج السلبية لعجز الرأسمالية الامريكية عن حل مشكلة الوقود لدرجة بعيدة حدود الولايات المتحدة .

فالولايات المتحدة مضطرة لمواجهة العجز في امدادات عن طريق زيادة واردات النفط وفي الفترة من ١٩٧٢ الى ١٩٧٧ ارتفعت واردات النفط ومشتقاته من ٢٢٥ مليون الى حوالي ٤٢٠ مليون طن في السنة ، مع زيادة نصيب البترول في استهلاك الوقود السائل في البلاد الى حوالي ٥٠٪ . وادى النمو السريع لهذه الواردات ، في ارتباطه بارتفاع أسعار النفط العالمية نتيجة لانهيار نظام الاستعمار الجديد لامتيازات الدفع للنفط ، الى زيادة تكاليف الوقود المستورد في الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٧ ، من ٤٨٠٠ الى ٤٥٠٠٠ر٠ مليون دولار في العام :

ونتيجة لعدم التزايد السريع بنفس النسبة لصادرات السلع لمواجهة نفقات النفط المستورد ، تدفع الولايات المتحدة دولارات مقابل القسم الاكبر من النفط المستورد .

وهذه الدولارات التى لايوجد عمليا مايقابلها من السلع ، قد أصبحت واحدا من العوامل القوية التى تؤدى الى زيادة عمق الازمة المزمنة للنظام النقدى والمالى للرأسمالية . ان واردات النفط الامريكية الحالية كان لها تأثيرا كبيرا على عجز ميزان المدفوعات الامريكى فى العام الماضى . والذى زاد عن ٢٠،٠٠٠ مليون دولار ، وكانت هناك زيادة مماثلة فى المجموع الكلى للنقد الامريكى ، والذى لايجد سندا من السلع ، فى اسواق المال الدولية وفى الخزائن الاجنبية . وكنتيجة لذلك ، كما أعلن نظام الاحتياطى الفيدرالى الامريكى ، الذى يشرف على اصدار وتداول الدولارات ، أدت الشهور الستة التى سبقت مارس ١٩٧٨ الى انخفاض قيمته حوالى ٦٪ فى سعر تبادل الدولار بالنسبة للعملات الغربية الاخرى . وهذا الظرف يزيد الاسعار بالنسبة للسوق الامريكية للسلع من البلدان الاخرى ، وبخاصة من بلدان غرب أوربا واليابان ، ويخفض من قدرتها على المنافسة ويزيد من حدة التناقضات التجارية فى منطقة الرأسمالية المتطورة

وسياسة الطاقة الامريكية تضر ضررا بالغا البلدان النامية ، بما فى ذلك البلدان الاعضاء فى منظمة البلدان المصدرة النفط «الاوبك» والتى تتلقى فى الاساس دولارات أمريكية مقابل نفطها ، ومن المتوقع أن يؤدى تدهور سعر تبادل الدولار اوتوماتيكيا الى خفض دخول بلدان الاوبك عام ١٩٧٨ بحوالى ١٢،٠٠٠ مليون دولار على الاقل ، وهو مايعادل خسارة هذه البلدان لحوالى ١٤٠ مليون طن من النفط ــ وهذا يعادل انتاج نيجيريا واندونيسيا معا من النفط فى العام الماضى .

وخلال السنوات الثلاث الاخيرة تخلف نمو أسعار نفط بلدان الاوبك كثيرا عن معدل النمو التضخمى لاسعار المنتجات الصناعية الغربية . وفى عام ١٩٧٧ تقدر الخسارة المباشرة لبلدان الاوبك نتيجة لاتساع هوة الاسعار بحوالى ٥٠٠٠ مليون دولار ــ وهو مبلغ يفوق دخل الجزائر من مبيعات النفط .

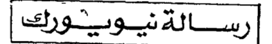
وفى الوقت الذى تزيد الاحتكارات الامريكية من واردات النفط ، فقد حولته الى أداة لابتزاز بلدان الاوبك . فالولايات المتحدة تزيد بشكل خاص من مشتريات النفط ، وبالتالى من المدفوعات مقابله ، من البلدان التى تتجه حكوماتها الى التعاون مع السياسة الامريكية وانه على وجه التحديد من خلال هذا التكتيك للمشتروات الانتقائية يستطيع المرء ان يفسر زيادة صادرات بعض البلدان المنتجة للنفط خلال العامين الماضيين الى أربعة اضعاف بالمقارنة مع بقية البلدان . وتهدف هذه السياسة الى دعم هذه البلدان المنتجة النفط والتى تتعاون على وجه الخصوص مع أهداف السياسة الامريكية .

وتبدى واشنطن اهتماما دائما بتدعيم مواقعها العسكرية الاستراتيجية فى مناطق انتاج النفط الرئيسية فى العالم الثالث . وخلال السنوات الخمس الاخيرة قدمت الولايات المتحدة ماقيمته حوالى ١٥،٠٠٠ مليون دولار من الاسلحة الامريكية الى البلدان الصديقة المنتجة النفط ، وفقا لمعطيات صحيفة لوماتان الفرنسية .

ان محاولات التغلب على الازمة الاقتصادية من خلال زيادة حدة استغلال الجماهير العاملة فى الداخل ، ولغير صالح شركائها فى التكتلات العسكرية والاقتصادية ، ومن خلال زيادة حدة النهب الاستعمارى الجديد كان ولايزال سمة كامنة للامبريالية الامريكية.

●●

قبضة ملوك الصحافة



أصدرت المحكمة العليا فى الولايات المتحدة قرارا يسمح لشركات الصحف الكبيرة بشراء محطات للاذاعة والتليفزيون . واشـاعة الاحتكار فى وسائل الاعـلام فى الولايات المتحدة قد ساعدت بالفعل ١٧٠ مجموعة صحفية رئيسية فى السيطرة على ٦٠٪ من الصحف اليومية فى البلاد والتى يبلغ عددها ١٧٦٠ صحيفة . ومن الآن فصاعدا سيستمر هذا الاتجاه بخطا أسرع .

وقد أكدت « يو اس نيوزاندويرلدريبورت » الاسبوعية أخيرا أن الصحافة الامريكية يزداد تركيزها فى أيدى مجموعة ضيقة من الملاك وشكت من أن مجموعة صغيرة من « ملوك الصحافة » ستمارس تأثيرا ضخما للغـاية على الرأى العام . وقد تأخرت الجـريدة دون شك فى اعلان هذه الشكوى . فتـأثير هذه المجموعة التى تحتفظ بصلات وثيقـة مع التجمع الصناعى العسكرى الامريكى كبير منذ فترة بعيدة .

والدور الخطر الذى تلعبه الصـحافة الاحتكارية أصبح واضحا خاصة فى الفـترة الاخيرة . ففالبية الصحف الامريكية التى تتحرك مطيعة خلف حركات عصا مايسترو خفى ، تشارك فى حملة خبيثة حول انتهاكات مزعومة لحقوق الانسان فى الاتحـاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخـرى . وتشارك الصحافة التى تملكها المجمـوعات الصحفية بنشاط كذلك فى حملة تهـدف الى تخويف رجل الشارع الامريكى بخرافات عن « التهديد العسكرى السوفييتى »

وقد وصف محمد على كلاى الملاكم الامريكى الشهير ، الذى زار الاتحاد السوفييتى أخيرا نتائج عملية غسيل المخ تلك ، فقال ان كثيرا من الناس فى الولايات المتحدة يخشون من أن يهاجمهم الاتحاد السوفييتى . وكـل معلوماتهم عن الاتحاد السوفييتى ترتكز على معلومات تقدمها لهم الصحافة الامريكية .

ان التقارير التى تنشرها الصحافة الامريكية فى نفس الوقت حول هذا الموضوع ، وتماثل نغمتها « والمعرفة » غير العادية بالاسرار والمسائل الحساسة المتعلقة بالامن القومى الامريكى ــ كل ذلك يوضح أن مثل هـذه الحملات الدعائية تدار وتوجـه من نفس المراكز الاحتكارية التى تخدم أهداف أعـداء الانفراج .

دائرة المعارف

لجنة استخدام الفضاء الخارجى للاغراض السلمية

هذه اللجنة جهاز من أجهزة الامم المتحدة يشرف على نشاط مختلف الدول فى استكشاف الفضاء الخارجى والتطوير المطرد للتعاون الدولى فى هذا المجال • وتقوم اللجنة بتنسيق الجهود فى استكشاف واستخدام الفضاء الخارجى بواسطة مختلف أجهزة الامم المتحدة •

وقد اجتمعت هذه اللجنة فى ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ بناء على قرار الجمعية العامة للامم المتحدة • وترجع فكرة انشاء اللجنة الى الاتحاد السوفييتى الذى أرسل فى مارس ١٩٥٩ الى السكرتير العام للامم المتحدة بعض المقترحات التى دعت بصفة خاصة الى « اقامة جهاز للامم المتحدة للتعاون الدولى فى استكشاف الفضاء الخارجى » •

وفى البداية حددت الجمعية العامة للامم المتحدة ٢٤ دولة كأعضاء فى هذه اللجنة • وفيما بعد وسعت عضويتها مرتين : فى ١٩٦٧ حتى ٢٨ دولة وفى ١٩٧٣ حتى ٣٧ دولة • وفى الوقت الحاضر تتكون هذه اللجنة من الاتحاد السوفييتى وبلغاريا والمجر والمانيا الديمقراطية ومنغولياوبولندا ورومانياوتشيكوسلوفاكيا والهند وباكستان والارجنتين والبرازيل ونيجيريا وكينيا واليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية وكندا والسويد ودول أخرى•

SOCIALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHỦ NGHĨA XÃ HỘI • SOZIALIS

وللجنة لجنتان فرعيتان ، لجنة فرعية قانونية ، ولجنة فرعية علمية وتكنولوجية ، وثلاث مجموعات عمل للتوابع الصناعية الملاحية ، واتصالات التليفزيون المباشرة باستخدام التوابع الصناعيه ، والتحكم من بعد من الارض عن طريق التوابع الصناعية ٠

وتعقد اللجنة ولجانها الفرعية كقاعدة ، دورة واحدة في السنة ، وتعقد مجموعات العمل التابعة لها اجتماعاتها في حالة الضرورة ٠ وقد عقدت اللجنة أول اجتماع لها في مارس ١٩٦٢ ٠ وتعقد اجتماعات اللجنة في المقر الرئيسي للامم المتحدة في نيويورك ٠

وتتلخص اختصاصات اللجنه في دراسة خطوات تعزيز التعاون الدولي والنشاطات المتعلقة بالفضاء الخارجي واعداد الدراسات والاجراءات الضرورية حول تنفيذ برامج استخدام الفضاء الخارجي للاغراض السلمية ، الذى يمكن أن تشرف عليه الامم المتحدة ٠ وتهدف الاجراءات الى جانب اشياء اخرى ، الى الاستمرار في مساعدة أبحاث الفضاء الخارجي على أساس منتظم ، والتبادل ذى النفع المتبادل للمعلومات الخاصة بأبحاث الفضاء الخارجي ونشرها ، وتعزيز البرامج العلمية والابحاث القومية لاكتشاف الفضاء الخارجي والمساعدة في تطبيقها ٠ كما أن هذه اللجنة مكلفة بدراسة المشاكل القانونية التى يحتمل أن يطرحها استكشاف الفضاء ، بالاضافة الى انها تحصل على المعلومات التى تقدمها الدول التى تعمل في مجال استكشاف الفضاء بشكل اختيارى ، وتحتفظ بصلات مع المنظمات الدولية التى تعمل في استكشاف الفضاء الخارجي ٠ وقد تلقت اللجنة ، وبخاصة منذ ١٩٦٢ ، بيانات من الحكومات والمنظمات الدولية حول الاجسام التى وضعت في المدار الخارجي ، وعلى أساس هذه البيانات تحتفظ ادارة الفضاءالخارجي التابعة لسكرتارية الامم المتحدة بسجل لهذه المعلومات ٠

وقد قامت اللجنة بمساهمة كبيرة في دراسة المشاكل القانونية الخاصة باستكشاف الفضاءالخارجى ٠ وتقوم اللجنة ولجنتها الفرعية بوضع وتنسيق القواعد والمبادىء العامة للقانون الدولي للفضاء وهو من أحدث فروع القانون الدولي الحديث ٠

وفي ديسمبر ١٩٦٣ أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة اعلانا بالمبادىء القانونية لنشاط الدول في استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي ٠ ويحدد هذا الاعلان الاسس القانونية لنشاط الدولة في الفضاء الخارجي ، كما يصوغ مبدءا بالغ الاهمية للفضاء الكونى ينص على أن استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي سيجريان لصالح وخير الجنس البشرى بأسره ٠ وفي عام ١٩٦٦ وضعت اللجنة معاهدة حول المبادىء التى تحكم نشاط الدول في استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي ، بما في ذلك القمر والاجرام السماوية الاخرى ٠ وقد جرى توقيع هذه المعاهدة في ٢٧ يناير ١٩٦٧ ٠ وفي حين تطور هذه الوثيقة وتعمق مواد اعلان ١٩٦٣ ، فقد أصبحت العمود الفقرى في نظام كامل للتشريع الدولي للفضاء الخارجي ، وحددت المسار لعدد من الاتفاقيات الدولية التى تحكم نشاط الدول في مجال الفضاء ٠ وبعد ذلك بعام ، أعدت اللجنة مشروع اتفاق حول انقاذ رواد الفضاء ، وعودة رجال الفضاء والاجرام الموضوعة في الفضاء الخارجى ، ووقع في ٢٢ ابريل ١٩٦٨ ٠

وفى عام ١٩٧١ انتهت اللجنة من اعداد نص ميثاق حول المسئولية الدولية عن الدمار الناجم عن معدات الفضاء والذى وقع في ٢٩ مارس ١٩٧٢ ٠ وفي عام ١٩٧٤ قدمت اللجنة للجمعية العامة للامم المتحدة نص ميثاق حول تسجيل المعدات والاجهزة الموضوعة في الفضاء الخارجي٠ ويهدف هذا الميثاق الى ان يستبدل كل النظام القائم لتسجيل اطلاق المعدات للفضاء على أساس المعلومات المقدمة من الدول بارادتها الحرة بنظام التسجيل الاجبارى لكل شىء يوضع في الفضاء في المدار حول الارض او في الفضاء الخارجي ٠

وتحتل مكانة أساسية في عمل اللجنة الفرعية القانونية ، في الوقت الحاضر ،

المشكلة القانونية المتعلقة بالاستخدام العملى تكنولوجيا الفضاء • اذ تبذل الجهود لاعداد مشروع المبادىء القانونية التى تحكم نشاطات الدول فى استخدام التوابع الصناعية فى اتصالات التليفزيون المباشرة واستكشاف الموارد الطبيعية للارض • كما يعد مشروع معاهدة حول القمر •

وخلال السنوات الاولى لوجودها كان نشاط اللجنة فى المجال التكنيكى والعملى يقوم أساسا على نشر المعلومات عن أبحاث الفضاء ، وانشاء مناطق اختبار دولية لاطلاق معدات الفضاء فى تومبا (الهند) ومارديل بلاتا (الارجنتين) والاعداد لمؤتمر الامم المتحدة حول أبحاث واستخدام الفضاء الخارجى علميا ، الذى عقد فى فيينا فى اغسطس ١٩٦٨ •

وتقدم هذه اللجنة الارشادات منذ ١٩٧٠ لتطبيق برنامج الامم المتحدة للاستخدام العملى لتكنولوجيا الفضاء الموجهة أساسا لاحتياجات البلاد النامية • وقد وضحت مؤخرا أهمية مشاكل الرقابة من بعد ، والتى ستتم من الارض خلال التوابع الصناعية فى نشاطات اللجنة ولجنتها العلمية والتكنولوجية الفرعية •

ويلعب الاتحاد السوفييتى دورا قياديا فى نشاطات اللجنة وهيئاتها • فلقد مهد الطريق لاعلان ١٩٦٣ ، ولمعاهدة ١٩٦٧ ، واتفاقية ١٩٦٨ • وقام المندوبون السوفييت بدور نشيط فى الاعداد لنصوص المراسيم القانونية والدولية التى أقرتها اللجنة وقدموا مساهمة كبيرة فى صياغة موادها المعقدة • وفى عام ١٩٧١ اقترح الاتحاد السوفييتى مشروع معاهدة دولية حول القمر وافقت اللجنة على كثير من موادها • ولايزال الاقتراح السوفييتى حول اعداد ميثاق حول مبادىء استخدام الدول للتوابع الصناعية للاتصالات التليفزيونية المباشرة الذى قدم للامم المتحدة فى عام ١٩٧٢ ، قيد الدراسة • كما أن مشروع المبادىء التى تحكم نشاط الدول فى الرقابة الفضائية من بعد لاستكشاف موارد الارض بمساعدة تكنولوجيا الفضاء الذى اقترحه الاتحاد السوفييتى وفرنسا فى اللجنة القانونية الفرعية فى مايو ١٩٧٤ ، دفع بصورة كبيرة العمل فى المشاكل القانونية الناجمة عن ظهور هذا النمط الجديد لتكنولوجيا الفضاء •

•

● اشترك فى هـذا العـدد ·



● الاعداد لمهرجان الشباب العالمى

فرقة المرقص الشعبى « بوليسى » تؤدى رقصة أوكرانية ·

● س · راجسوارا راو :

السكرتير العام للمجلس القومى للحزب الشيوعى الهندى ·

● يوسف دادو :

رئيس الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ·

● جيمس وست :

عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الامريكية ·

● انطونيس امباتيلوس :

عضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى اليونانى ·

SOCIALIST STUDIES

AUGUST 1978

MAIN SUBJECTS

- An important Landmark.
- The working class in Greece.
- South Africa : revolution on an Upgrade.
- Isolation of Anti-communism.
- A creatively developing, revolutionary doctrine.

SPECIAL PART ON :

Social thoughts of Ali Moubarak.

● ● ●

دراسات اشتراكية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :
أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :
صبرى أبو المجد

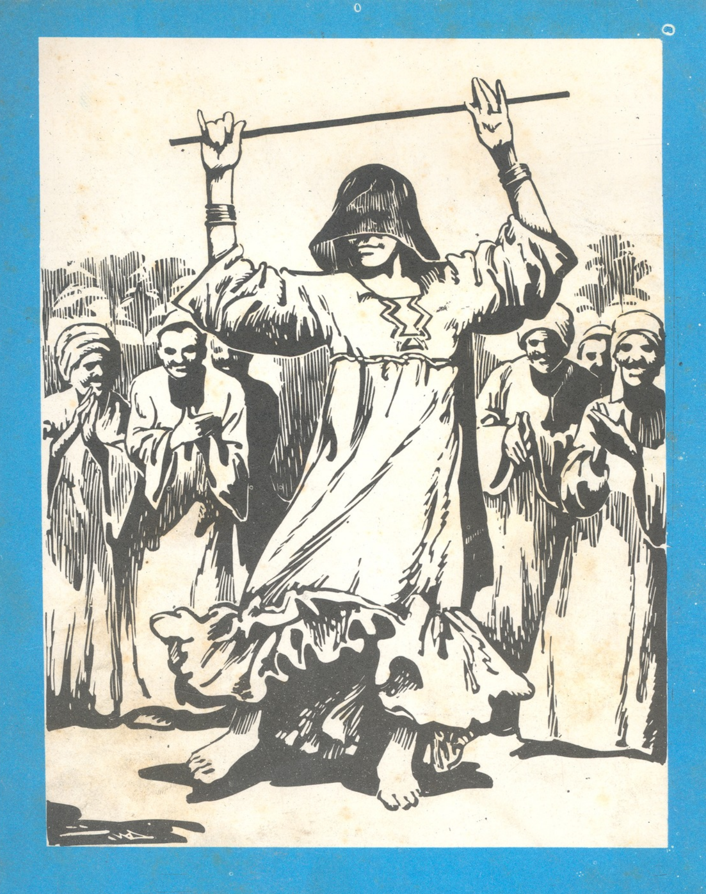
رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم ــ عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا · فى الأردن والعراق ١٣٠ فلسا ·

قيمة الاشتراك السنوى : «١٢ عددا» فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر أنحاء العالم ، ٥ ونصف دولار أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال · فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية · فى الخارج بتحويل أو شيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ــ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب ·

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة ·

تليفون : ٢٠٦١٠ «عشرة خطوط»



● فرح الصعايدة ● للفنان: هبه عنايت

١٠ قروش